

الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقصا

لأخبار دولة المغرب الأقصى



الدولة المغربية

الجزء الثاني

الجزء الثاني



مطبعة دار الكتب والوثائق بالرباط
الاستقصا لأخبار المغرب - والاستقصا لأخبار المغرب



الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري

547

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الأقصى



الدولة السعودية

- القسم الثاني -

الجزء السادس



محقق ومليق ولدي التوفيق :

الأستاذ جعفر الناصري — والأستاذ محمد الناصري



دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الدولة السعدية

القسم الثاني

الخبر عن دولة السلطان أبي المعالي زيدان بن أحمد المنصور
رحمه الله تعالى

لما توفي المنصور رحمه الله وفرغ الناس من دفنه اجتمع أهل الحل والعقد من اعيان فاس وكبرائها والجمهور من جيش المنصور على بيعة ولده زيدان ، وقالوا: ان المنصور استخلفه في حياته ومات في حجره ، وكان ممن تصدى لذلك القاضيان : قاضي الجماعة بفاس ابو القاسم بن أبي التيميم ، والقاضي ابو الحسن علي بن عمران السلاسي ، والاسناد ابو عبد الله محمد الشاوي ، والشيخ النظار ابو عبد الله محمد بن قاسم القصار وغيرهم ، ويحكى ان القاضي ابن أبي التيميم قام في الناس خطيبا وقال : اما بعد ، السلام عليكم ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات اجتمع الناس على ابي بكر رضي الله عنه ، ونحن قد مات مولانا أحمد وهذا ولده مولانا زيدان اولي بالملك من اخوته . فبايعه الحاضرون يوم الاثنين السادس عشر من ربيع الاول سنة ائتي عشرة والف(*) . قالوا : وكان زيدان لما توفي والده كم موته وبعت جماعة للقبض على اخيه الشيخ المسجون بمكناسة

(*) قال المؤرخ المجهول: بوبع زيدان بعد وفاة ابيه وقبل دفنه ونسب الخطبة الانية فقصار وزاد فيها بعد قوله اجتمع الناس على ابي بكر ما نصه : فبايعوه واخذوا في تجهيز رسول الله بعد ذلك ونحن كذلك نفضل . واظن هذه الرواية اقرب الى الواقع لان المقصد بالخطبة هو تبين السنة في تقديم المبايعة على الدفن والا كانت من محض الاخبار بالمعلوم

فمنحهم من ذلك ألباك جؤذر كبير جيش الأندلس وحمل الشيخ موثقاً
إلى مراكنش حتى دفنه إلى أخيه أبي فارس وكان شقيقاً له ، فلم يزل
مسيحوناً عنده إلى أن كان من أمره ما يأتي كذا قال بعضهم . وقال
في شرح «زهره الشعاريخ» : أن زيدان لما اشتغل بدفن والده أحوال
القائد أبو العباس أحمد بن منصور العلج فذهبت نصف الحلة إلى مراكنش
تارعا عن زيدان إلى أبي فارس ومر في طريقه بمكانة فأخرج الشيخ
من اعتقاله واحتمله معه إلى أبي فارس فحبسه فلم يزل مسجوناً عنده إلى
أن كان من أمره ما تذكره والله تعالى أعلم

انحراف أهل مراكنش عن طاعة زيدان وبيعتهم لأبي فارس
وما نشأ عن ذلك من الفتن

كان المنصور رحمه الله قد فرق عمالات المغرب على أولاده كما مر ،
فاستعمل الشيخ على فارس والمغرب وولاه عهده ، واستعمل زيدان على نادلا
وأعمالها ، واستخف ، عند نهوضه إلى فارس ، ابنه أبا فارس على مراكنش
وأعمالها وكان يكتبه بما مر بعضه من الرسائل ، فلما اتصل بأهل مراكنش
وفاة المنصور وكب إليهم أهل فارس ببيعتهم لزيدان آمنوا وبيعوا أبا
فارس لكونه خليفة أبيه بدار ملكه التي هي مراكنش ولأن حل الحامية
من حاشية أبيه كان يميل إلى أبي فارس لأن زيدان كان متبذراً عنهم بتادلا
سائر أيام أبيه فلم يكن لهم به كبير انعام ولا مزيد استلش ، مع أنه
كان جذيراً بالأمر لعلمه وأدبه وكمال مروءته ورحمة الله إلا أن السعد
لم يساعده وقد قيل في قتله قديماً : « قاتل بسعد والافدح » ولما شق
أهل مراكنش العصا على زيدان كثر في ذلك القيل والقال حتى صدرت
فتوى من قاضي قنس ابن أبي النعم ، ومقبتها أبي عبد الله القصار تضمنت
النصريح بحديث : « إذا بويح الخليفتين فاقبلوا الآخر منهما » وكانت بعة

أبي فارس بمراكش يوم الجمعة أواخر ربيع الأول من سنة اثنتي عشرة
والف ، وهو شقيق الشيخ المأمون ، أمهما أم ولد اسمها الجوهر ، ويقال
الحيزدان ، واسم أبي فارس هذا : عبد الله وتلقب بالوائق بالله ، وكان
أكولا عظيم البطن معافا بمس الجن ويقال : إنه لذلك ابتنى المسجد الجامع
بجوار صريح الشيخ أبي العباس السني وشيد منارة وضمن الخزائنة
التي بقلي الجامع المذكور بمنتخب الكتب ونفيس الدفاتر كل ذلك رجاء
أن تعود عليه بركة ذلك الشيخ بالبركة من تلك العلة ، وكان مع ذلك يعيل
إلى المروءة والرفق وحسن السيرة رحمه الله

نهوض السلطان زيدان لحرب أبي فارس وانهزامه بام الربيع ثم فراراً إلى تلمسان

لما بايع أهل مراكش أبا فارس بن المنصور عزم زيدان على النهوض
إليه فخرج من فاس يوم بلاد الحوز ، وأصل الخبر بأبي فارس فجهز لقتاله
جيشاً كبيراً وأمر عليهم ولده عبد الملك إلى نظر الباشا جؤذر ، فقبل له : إن
زيدان رجل شجاع عارف بمكايد الحرب وخدعه ولذلك عبد الملك لا يقدر
على مقاومته فلو سرحت أخاك الشيخ لقتاله كان أقرب للرأي لأن أهل
الغرب لا يقاتلونه لأنه كان خليفة عليهم مدة فهم آس به من زيدان ،
فأطلق أبو فارس أخاه المأمون من ثقاف السجن وأخذ عليه العهد
والمواثيق على النصح والطاعة وعدم شق العصى ، ثم سرحه في ستمائة من
جيش المنفرقة الذين كان المنصور جمعهم ليحث بهم إلى كافع من أعمال
السودان ، وقال له ولأصحابه : « جدوا السير الليلة كي تصبحوا بمحلة
جؤذر عن وادي أم الربيع » فلما انتهى الشيخ إلى المحلة المذكورة وعلم
الناس به أهرعوا إليه واستبشروا بمقدمه ، ثم كانت الملاقاة بينه وبين
السلطان زيدان بموضع يقال له : حوالة عند أم الربيع ففر عن زيدان أكر

جيشه الى المأمون وحنوا الى سائق عهده وقديم صحبته ، فانهزم يزيدان
لذلك ورجع ادراجهم الى فاس فحصى بها

وكان ابو فارس قد تقدم الى اصحابه في القبض على الشيخ ملى
وفعت الهزيمة على زيدان فلما فر زيدان انزل الشيخ فيمن انضم اليه من
جيش أهل الغرب وامتدح على اصحاب ابي فارس فلم يقدروا منه على شيء
وانتفض امره واستدت شوكة ثم سار الى فاس ينفق أثر السلطان زيدان
ولما اتى زيدان خبر مجيئه اليه راود أهل فاس على القيام معه
في الحصار والذب عنه والوفاء بطاعته التي هي مقتضى بيعتهم التي أعطوا بها
صفقتهم عن رضى منهم ، فامتدحوا عليه وقبلوا له ظهر المحن واعيدوا بنصر
الشيخ وبيعه لتقديم صحبهم له . ولما ايس زيدان من نصرهم وقد ارتقى
الشيخ في جموعه خرج من فاس بجيشه ونقله ناجيا بنفسه ، وبعه جمع
عظيم من اصحاب الشيخ فلم يقدروا منه على شيء ، ودعب الى تلمسان فاقام
بها الى ان كان من امره ما تذكره

واما الشيخ فانه لما وصل الى فاس تلقاه اهلها ذكورا واناثا واقبلوا
المرح بمقدمه فدخلها ودعا لنفسه فاجيب واستبد بسلكتها ، ثم أمر جيش
أهل مراکش ان يرجعوا الى بلادهم فانقلبوا الى صاحبهم مخففين
وكان الشيخ لما تم غرضه من الاستبداد بالامر والانفراد بالسلطة
دعا بالشيخين الفقيهين قاضي الجماعة ابي القاسم بن ابي النعيم ، ومفتيها
أبي عبد الله محمد بن قاسم اتصلا فلامهما على مبايعة زيدان وقولهما فيه
وفي أخيه ابي فارس : ان اولاد الاماء لا يتقدمون في الامور على اولاد
الحرائر . وكان ابو فارس والشيخ ولدى امه اسمها : الحيزران كما مر ،
وزيدان امه حرة من الشبانات ، وعزم ان ينكل بهما ثم بعث بهما مع جيش
مراكش الى أخيه ابي فارس ليرى فيهما رأيه فلما اتى الشيخ القصار فتوفي
رحمه الله على مقربة من مراکش بزاوية الشيخ ابن ماسي وحمل الى
مراكش فدفن بقبة القاضي عياض وذلك في اواسط سنة اثنى عشرة
والف . واما القاضي ابو القاسم فاجتمع بأبي فارس فقبل عذره وصفح عنه

ورده مكرما الى فارس هكذا ذكره بعضهم* وقيل : ان الذي بحث بالشيخ
القصار الى مراكنش هو السلطان زيدان على وجه يخالف هذا والله أعلم ؟

نهوض عبد الله بن الشيخ لحرب عمه أبي فارس واستيلائه على مراكنش

ثم ان الشيخ المتقلب على فارس دعا بنجار اهلها فاستلّف منهم مالا
كثيرا واطهر من الظلم وسوء السيرة وخبث السريرة ما هو شهر به ،
ثم تبع قواد ابيه فنهب ذخائرهم واستغنى اموالهم وعذب من اخفى من
ذلك شيئا منهم ، ثم جهز جيشا لقتال اخيه ابي فارس بمراكنش ، وكان
عدد الجيش نحو الثمانية آلاف ، وامر عليه ولده عبيد الله فصار بجيوشه
فوجد ابا فارس بمحنته في موضع يقال له : اكليم ، ويقال : بي مرس
الرماد فوفقت الهزيمة على ابي فارس وقتل نحو المائة من اصحابه ونهبت
محنته ، وفر هو بنفسه الى مسفوة ، ودخل عبد الله بن الشيخ مراكنش
فاباحها لجيشه فنهبت دورها واستبيحت محارمها واستغل هو بالفساد ومن
يشابه ابيه فما ظلم ، حتى حكى انه زنى بجواري جده المنصور واستمتع
بحفظايه ، واكل رمضان وشرب الخمر فيه جهارا وعكف على اللذات والقي
جلباب الحياء عن وجهه ، وكان دخوله مراكنش في العشرين من شعبان
سنة خمس عشرة وألف*

(*) وكانت عاقبة أمره القتل كما سيذكره المؤلف

(**) ثم فر منها الى السوس فأقام عند حاجب ابيه عبد العزيز بن سعيد الوز كيتي كما

سيذكره المؤلف

مجيء السلطان زيدان الى المغرب واستيلائه على مراكش

وطردة عبد الله بن الشيخ عنها



كان السلطان زيدان لما فر من فاس الى تلمسان كما مر أقام بها مدة وكان قد بعث الى ترك الجزائر يستمدهم ويستعديهم على اخويه فابطسأوا عليه وطال عليه انتظارهم ، فلما يش منهم توجه الى سجلماسة فدخلها من غير قتال ولا محاربة ، ثم انتقل عنها الى درعة ومنها الى السوس ، فكتب اليه أهل مراكش ، وقد ندسوا على ما فرطوا فيه من امره والدخول في طاعته ، أن ياتهم ولو وحده ، فتوجه اليهم ودخل عليهم ليلا فلم يفتجأ عبد الله بن الشيخ الا نداء أهل مراكش بنصر السلطان زيدان وتحزبوا معه وتقدموا الى قائدهم عبد الله اغراس الذي ولاء عليهم الشيخ فقتلوه ، وخرج عبد الله قارا بجموعه من أهل فاس والمغرب ، فحاصره أهل مراكش بين الاسوار والجنان ، وقتلوا من اسحاب عبد الله بموضع يعرف بجنان بكار نحو الخمسة آلاف وخمسمائة ، وأمر زيدان بقتل كل من تخلف عن عبد الله من جيشه ، فأتى القتل على جميع من وجد بمراكش من جيش أهل فاس ، وذلك في اواخر سنة خمس عشرة واثق ، وفر عبد الله بن الشيخ ناجيا بنفسه حتى قدم على أبيه بفاس في أسوأ الحالات ، مفلول العساكر مهزوم الجموع معافا عن جيش النصر بجيش الدموع



عود عبد الله بن الشيخ الى مراکش واستيلاؤا عليها وطردها زيدان عنها

ما قدم عبد الله بن الشيخ على ابيه بفاس سليا مهزوما قامت قيامته ورأى ان يهيىء عسكريا آخر ويجدد جمعا ثانيا فلم يجد لذلك طاقة لفراغ يده من المال وفلة جبايته ، واستحى ان يستلف من التجار لانه كان استلف منهم فلم يرد لهم شيئا ، ولا اعينه الخيلة رجوع على قواده فقلب لهم ظهر المجن ونهب اموالهم واستلب ذخائرهم وصار يفرقها على التجار ، فاجتمع له من ذلك اموال عريضة فرقها في جيشه ، ونهيا عبد الله للمسير الى مراکش ، وكان اهل فاس قد غضبوا لمن قتل من اخوانهم بها ونادوا بأخذ نارهم حتى ان بعضهم خرج مع عبد الله من غير أخذ مرتب ولا جامكية ، فخرج عبد الله بجموع عديدة وجيوش ضخمة ، ولا بلغ خبره السلطان زيدان بعث اليه العليج مصطفى باشا في جيوش كثيرة . قال في شرح « زهرة التماريح » : كان بعث مصطفى باشا وخروجه من مراکش في شعبان سنة ست عشرة و الف ، فالتقى الجمعان بموضع يقال له « تافلننت (*) » على طريق سلا فهزم مصطفى باشا وقتل من جيش مراکش نحو التسعة آلاف وبعث الشيخ جماعة من عدول فاس الى موضع المعركة حتى أحصوا القتلى ، ثم توجه عبد الله الى مراکش فبرز اليه أهلها في ستة وثلاثين ألف مقاتل والتقى الجمعان بموضع يقال له : رأس العين ، فانهزم أهل مراکش ، وتقدم عبد الله بن الشيخ فاتحها بجيشه ، وفر زيدان الى المعازل المتبعة والجبال الشامخة فبقى متقلا هنالك الى أن كان من أمره ما نذكره .



(*) هي المعروفة بتيفلت اليوم بأرض زمور

ثورة محمد بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد الشيخ وانقراض أمره

وعود زيدان الى مراکش



لما دخل عبد الله بن الشيخ مراکش واستولى عليها فعل فيها أعظم من فعله الأولى ، وهربت شريعة من أهل مراکش الى جبل جيليز واجتمع هناك منهم عصابة من أهل النجدة والحبة واتفق رأيهم على أن يقدموا للخلافة محمد بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد الشيخ ، وكان رجلا خيرا دينا حيا وفورا فبايعه أهل مراکش هناك ، وانفوا عليه ، فخرج عبد الله بن الشيخ لثمان من بجيل جيليز والقبض على أميرهم المذكور . ولما التقى الجمعان انهزم عبد الله وولّى أصحابه الأديار فخرج من مراکش مهزوما سادس شوال سنة ست عشرة وألف ، وترك محله وانفاه وعدته وجلا لجيش ، واخذ على طريق تلمسان وامتنح أصحابه في دهاهم حتى كان مد القصح عندهم ثلاثين أوفية والحيزة من نصف رطل برع منقال ، ولم يزل أصحابه ينتهون ما مروا عليه من الحيام والعمود ويسبون الإنسان الى أن وصلوا الى قاس في الرابع والعشرين من شوال من السنة المذكورة ، وأما محمد بن عبد المؤمن فإنه لما دخل مراکش واستولى عليها صفح عن الذين تخلفوا بها من أهل الغرب من جيش عبد الله بن الشيخ ، وأعطاهم الراتب فلم يعجب ذلك أهل مراکش ، وتقموا عديده إبقاء عليهم ، وكانوا نحو الألف ونصف ، فكبوا سرا الى السلطان زيدان بالجبل فاتاهم وخيم نازلا بظاهر البلد ، فخرج محمد بن عبد المؤمن الى لقائه فانهزم ابن عبد المؤمن ودخل السلطان زيدان مراکش واستولى عليهما وحقق هو أيضا عن الفقة المتخلفة عن عبد الله بن الشيخ . وذكر في شرح «زهرة السماريج» : أن هذا النثر بجيل جيليز اسمه أبو حسون من أولاد السلطان أبي العباس الأعرج والله أعلم ، ولعل هذا الصواب بدليل ما يأتي في رسالة زيدان أن شاء الله

خروج جالية الاندلس من غرناطة وأعمالها الى بلاد المغرب وغيرها



قد قدمنا ما كان من امتلاء الطائفة صاحب فستالة على غرناطة وأعمالها سنة سبع وتسعين وثمانمائة ، وإن أهل غرناطة التزموا طاعته والبقاء تحت حكمه على شروط اشترطوها عليه قد ذكرنا بعضها فيما سلف ، وإن عدو الدين قد نقض تلك الشروط عروة عروة ، وكان أهل الاندلس من أجل ذلك كثيرا ما يهاجرون من بلاد الكفر الى بلاد الاسلام أثناء هذه المسدة السالفة ، غير أن عامتهم كانوا قد تخلفوا بأخلاق العجم وأثر فيهم ذلك اثرًا ظاهرًا لقول محبتهم لهم وتنشأة أعقابهم بين أظهرهم ، فكانت تصدر منهم في بعض الاحيان مقالات قبيحة في حق ولاية المسلمين من أهل المغرب وعامتهم ، لا سيما اذا نالهم منهم بعض الظلم ، ولقد رأيت في كتاب « المعيار » وغيره : سؤالات وفتاوى صدرت من علماء المغرب في حق هؤلاء الصنف منهم ، وكان الملوك السعديون قد جمعوا منهم جنودا كثيرا ، وبهم فتح المنصور أفليم السودان ، واستمر الحال على ذلك الى أن كانت سنة ست عشرة وألف فهاجر جميع من لم يتنصر منهم الى بلاد المغرب وغيرها .

قال في « نفع الطيب » : كان النصارى بالاندلس قد شددوا على المسلمين بها في النصر حتى أنهم أحرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك ومنعواهم من حمل السكين الصغير فضلا عن غيرها من الحديد ، وقاموا في بعض الجبال على النصارى مرادا ولم يقبض الله لهم ناصرا الى أن كان اخراج النصارى اياهم أعوام سبعة عشرة وألف ، فخرجت ألوف بفاس ، وألوف أخضر بلمسان ، ووهران ، وخرج جمهورهم بتونس ، فسلط عليهم الاعراب ومن لا يخشى الله تعالى في الطرق ونهبوا أموالهم ، وهكذا كان بلاد بلمسان وفاس ، ونجا القليل منهم من هذه المصرة . وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكرهم وهم لهذا العهد قد عمرووا قراعا الحالية وبلادها .

وقال صاحب «الخلاصة النقية» في أمراء إفريقية ما نصه : « وقضى
سنة ست عشرة وألف قدمت الأمم الجالية من جزيرة الأندلس فأوسع لهم
صاحب تونس عثمان داي كفه وأباح لهم بناء القرى في مملكه فبنوا نحو
العشرين قرية وأغبط بهم أهل الحضرة وتعلموا حرفهم وقلدوا قرفهم ، اه
ثم قال في «نفع الطيب» ، وكذلك خرج طوائف منهم بتطساوين وسلا
والجزائر ، ولما استخدم سلطان المغرب الأقصى منهم عسكرا جرارا وسكوا
سلا كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور الآن ، وحصلوا قلعة
سلا وبنا بها القصور والحمامات والمدور ، وهم الآن بهذا الحال ، ووصل
جماعة منهم إلى القسطنطينية العظمى وإلى مصر والشام وغيرها من بلاد
الإسلام ، اه كلام نفع الطيب ، وقوله : وحصلوا قلعة سلا يعني بها رباط
الفتح إذ هي يومئذ مضافة إلى سلا ومعدودة منها ، والله تعالى أعلم

استيلاء السلطان زيدان على فاس وفرار الشيخ بن المنصور عنها إلى المرائش ثم إلى طائفة الاصنبول

كان الشيخ بن المنصور عفا الله عنه على ما تقدم من فتح السيرة
والإساعة إلى الحافة والعامه حتى ملته النفوس ورفضته القلوب وضاق أهل
فاس بشؤمه ذرعا ، وكان قد بعث ابنه عبد الله مرة تالفة إلى حرب السلطان
زيدان بمراكش وأعمالها فخرج عبد الله من فاس آخر ذي الحجة سنة
ست عشرة وألف فالتقى الجمعان بوادى بوركراك فكانت الهزيمة على عبد
الله وفر في رهط من أصحابه وترك محله بها فيها بيد السلطان زيدان ،
فأسولى عليها ، وانضم إليه جيش عبد الله من أهل فاس وغيرهم ميلا إليه
ورغبة في صحبته . فعفا عنهم وتأففهم : واستفحل أمر السلطان زيدان وتكلم
به أهل فاس وسائر بلاد المغرب ، واتصل الخبر بالشيخ وعرف أن قلوب
الناس عليه فخاف الفضيحة وأصبح غاديا في أهله وحتمه إلى ناحية

المراثي ، فاحتل بالقصر الكبير وهناك لحق به ابنه عبد الله مهزوما من
 وقعة بوركراك ، وانضم اليهما أبو فارس بن التصور ، فانه بعد فراده من
 مرس الرماد الى مقيوة أقام به مدة . ولا استولى السلطان زيدان على
 مراكش كما مر شدد في طليخ ففر الى السوس ، ولما أعيت عليه المذاهب
 وزيدان في طليخ لحق بشقيقه الشيخ فكان معه الى هذا التاريخ

ثم ان السلطان زيدان بعث كبير جيشه مصطفى باشا الى فاس
 فانهى اليها ونزل مخيما بظهر الزاوية ، ووجد لاصحاب الشيخ زدوعا
 كثيرة فارسل مصطفى باشا عليها جيشه فالتفوها ، ودخلت فاس في طاعنه
 ثم نهض الى ناحية القصر الكبير تاويا القبض على الشيخ وحزبه ، واتصل
 بالشيخ خبره ففر الى المراثي ، ومنها ركب البحر الى طائفة الاصبول
 مستصرحا به على السلطان زيدان ، وحمل معه أمه الحيزران وبعض عياله
 وجماعة من قواده وطلقاته ، وذلك في ذي القعدة سنة سبع عشرة والف
 وانتهى مصطفى باشا الى القصر الكبير فقبض على من وجد به من
 أصحاب الشيخ وفر عبد الله وابو فارس فنزلا بموضع يقال له : مطيح
 بنى وارثن ، فبلغ خبرهما الى السلطان زيدان ، فجاء حتى نزل قبائلهما
 بموضع يقال له : آدورات ، ففر من كان متهما الى السلطان زيدان ، ولا
 بقيا أوحش من وتد بقاع فورا الى دار اليهودي ابن منعل من بلاد بني
 برناس فأقاما بها

واختصر صاحب المراثي : هذا الخبر فقال : كان السلطان ابو المعالي
 زيدان بن التصور التقى مع ابن اخيه عبد الله بن الشيخ صاحب فاس
 برؤوس الشعاب يوم الخميس السابع والعشرين من شوال سنة سبع
 عشرة وألف فانهزم عبد الله بن الشيخ وفر الى محلة ابيه بالمراثي ،
 ثم رجع الى جهة فاس ، وانتهى الى دار ابن منعل واستولى عمه السلطان
 زيدان على محله وسار الى فاس فدخلها وأقام بها . اهـ

وفي دخلة السلطان زيدان هذه الى فاس قبض على الفقيه القاضي
 أبي الحسن علي بن عمران السلاسي رحمه الله قال اليفرنى قبي

• الصفوة • : كان القاضي المذكور ممن أخذ عن الشيخ القصار وكان مع ذلك لما ولي القصار الفتوى والخطابة بجامع القرويين يسعى عند السلطان في تأخيره حتى آخر، وولي هو مكانه مدة يسيرة ثم أعيد القصار، وكانت بينهما شجاعة عظيمة بسبب فتوى تنازعا فيها، ثم أقصت الحال بالقاضي أبي الحسن إلى أن قبض عليه السلطان زيدان بسبب أنه عثر عليه على كتاب كبه إلى بعض اخوته ينتقصه فيه ويوهن أمره، فأوغر ذلك قلب السلطان عليه فسطا به وسجنه ونهب داره وأتاه ثم مقاه سما، على ما قبل، فكان فيه حتفه، وقد حكى هذا الخبر في موضع آخر من الصفوة، مطولا فقال:

كان القاضي أبو الحسن علي بن عمران السلاسي شديد الانحراف عن الشيخ العارف بالله أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الغاسي سيم الاعتقاد فيه، ولم يزل يسمى به ويكيد، فاتفق أن اجتمع بالشيخ في بعض الليالي بعض من يتعاطى العلم فتكلموا في مسائل من صفات الله فقل كلام الشيخ إلى القاضي على غير وجهه فانكر ذلك، وركب من جنبه إلى السلطان زيدان، وهو يومئذ بفاس، متهزا للفرصة فقال: «إن هذا رجلا يعلم الناس الباطل ويلقيهم آراء الفرق الخالة» فقال له السلطان: «من هو؟» قال: «فلان» قال: «أخو سيدي يوسف؟» قال: «نعم» قال: «سمعنا أنه أعلم من أخيه» ثم بعث السلطان إليه، وهو مستنيط غضبا لخبر بلغه من ثورة بعض أقاربه عليه فجاء الشيخ أبو زيد ولم يخلع ثيابه حتى بلغ بساط السلطان، فسلم عليه ومد يده فصافحه، ثم تكلموا في المسألة فنقطع القاضي ولم يجد ما يقول، إلا أن الناقل لم يحسن نقلها، فقال له الشيخ: «فهل ثبت؟» وكان بعض علماء مراكش حاضرا فيالغ في عناء القاضي، وقيل للشيخ: «ما سبب الوحشة بينك وبين هؤلاء؟» فقال:

«لا شيء إلا الاستغناء عنهم» فقالوا: «يا سيدي هذا وصف بوجوب الحب، فما انفصل الشيخ عن السلطان حتى أطلع على ما يوجب القبض على القاضي فقبض عليه ونهب داره في الحين، فنزل الشيخ من فاس الجديد فلسقي اثبات القاضي في الطريق حتى به منهوبا، وبقي في السجن إلى أن مات

محمدا رحمه الله . وكان الاديب الكاتب أبو عبد الله المكلاني قد كتب
إليه بآيات يقول فيها ما نصه :

أما لَهْلَالُ غَابِ عَنَّا سُبُورِ	فِيحِلِّي بِهِ حُطْبُ دَجَاهِ تَشُورِ
نَصْرًا لَدَهْرٍ رَامَ بِمُحَلِّكَ الْأَسَى	فَأَنْتَ عَظِيمٌ وَالْعَظِيمُ صَبُورِ
يُظْهِرُ مَا عَهْدَتْهُ مِنْ جَمَالِكُمْ	فَلْيَدْرِ مِنْ بَعْدِ الْكُسُوفِ ظُهُورِ
وَتُحْيِي رُسُومَ الْمَعَالِي تَغَيَّرَتْ	فَلْيَعْلَمِ مِنْ بَعْدِ الْمَعَانِ تَشُورِ
أَبَا حَسَنِ إِنِّي عَلَى الْحُبِّ لَمْ أَزَلْ	مَقَامًا عَلَيْهِ مَا أَقَامَ نِيرِ
فَنَفَى الْقَمَّ مَاءٍ مِنْ بَقَايَا وَدَادِكُمْ	وَذَلِكَ عِنْدِي مَنَاسِعُ وَتَعْمِيرِ
عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ مَا عَظَلَ الْحَيَا	وَعَتَ بِأَغْصَانِ الرِّيَاضِ طَبُورِ

قال مشيها : وقد اشتد بها بين يديه بمحبته فيكي حتى ظننت أنه
سيهلك ثم أفاق وقال : والله الأمر من قبل ومن بعده فراحني رضي الله
عنه بآيات يقول فيها :

تَفَنَّقَ عَنْ زَهْرِ الرَّبِيعِ سَطُورِ	فَمَا هِيَ إِلَّا دَوْخَةٌ وَغَدِيرِ
هَزَمَتْ مِنَ الصَّدْرِ الْجُرَيْجِ مَمُومَةٍ	فَأَنْتَ عَلَى جُنْدِ الْكَلَامِ أَمِيرِ
مُحَمَّدٌ هَلْ فِي الْعَصْرِ غَيْرُكَ شَاعِرِ	لَهُ مَعَكُمْ فِي الْحَافِقِينَ ظُهُورِ
فَأَنِّي عَلَى صَفْوِ الْوُدَادِ وَأَنْتَ	سَائِدُو وَقَلْبِي بِالْهَمُومِ كَبِيرِ
مَنْ وَعَسَى يَشِي الزَّمَانُ عَاتِيَهُ	بِنَهْضَةِ جَدِّ وَالزَّمَانُ عَشُورِ
فَتَدْرِكُ آمَالَ وَتَقْضِي مَسَارِبِ	وَتُحَدِّثُ مِنْ بَعْدِ الْأُمُورِ أُمُورِ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَنْى فَاَنْتَ	غَرِيبٌ بِأَقْصَى الْمَخْرِبِ أَمِيرِ

وكانت وفاة القاضي المذكور رحمه الله في جامع المشور في مهمل
ربيع الثاني سنة ثمان عشرة ألف

عود عبد الله بن الشيخ الى فاس واستيلاؤه عليها

ومقتل مصطفى باشا رحمه الله

لما دخل السلطان زيدان حضرة فاس واستولى عليها أقام بها الى أن دخلت سنة ثمان عشرة وألف فأتى فأتى به خبر قيام بعض الثوار عليه ناحية مراكنس فهض إليها مزعجا ، واستخلف على فاس مولاه مصطفى باشا ، ولما اتصل خبر نهوض عبد الله بن الشيخ ، وهو بدار ابن مشعل ، زحف الى فاس فبين انضم اليه فبرز اليه مصطفى باشا وضرب محنته بظاهر فاس من ناحية باب الفتوح قال في المرأة : وعرض لابي الحسن علي بن يوسف الاندلسي المعروف بالبطار غرض من أمور العامة كان يتردد فيه الى المحلة فركب اليها يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الثاني سنة ثمان عشرة وألف فالتقى الجمعان يومئذ بين الظهريين فاجلت الحرب عن مقتل مصطفى باشا ، وفقد ابو الحسن بن البطار . وقال في المزمعة : لما رحل زيدان الى مراكنس بسبب ما بلغه من قيام بعض الثوار عليه ، هنالك قدم عبدالله بن الشيخ وعمه أبو فارس الى فاس فخرج مصطفى باشا لمقاتلتهما فمثر به فرسه وقتل وأخذت محنته بأسرها ، وهلك ما لا يحصى من الناس ووقع النهب حتى انتهب من البقر التي تحلب نحو ستة آلاف ، ودخل عبد الله بن الشيخ فاسا مع عمه أبي فارس وذلك سابع عشر ربيع الثاني سنة ثمان عشرة وألف .



تلخيص خبر أبي فارس ومقتله رحمه الله تعالى



نقدم لنا أن أبا فارس بن المنصور بويج بمراكش وبعت أخاه الشيخ
 لقتال السلطان زيدان فنكت الشيخ عهده وأسد عليه ، ثم بعث إليه ابنه
 عبد الله فهزمه إلى مسفيوة ثم فر منها إلى أنسوس ، فأقام عند حاجب
 أبيه عبد العزيز بن سعيد الوزكي ، ثم لما بالغ زيدان في طلبه فر السبي
 أخيه الشيخ فلم يزل مع ابنه عبد الله بن الشيخ إلى أن قتل مصطفى باشا
 ودخل عبد الله قسا فأسولى عليها كما ذكرناه آنفا فاتفق رأى قواد
 شراكة على قتل عبد الله وتولية عمه أبي فارس ، فبلغ ذلك عبد الله فدخل
 على عمه أبي فارس ليلا مع حاجة جمو بن عمر فوجدته على سجدته
 وجواربه حوله فأخرجهم وأمر بعمه فحرق وهو يضرب برجله إلى أن
 مات وذلك في جمدي الأولى سنة ثمان عشرة والقب ، هذا هو الصواب
 لا ما في « نثر المتأني » على اضطرابه قلص الناس عليه لأنه كان يرد
 عن المناكر وبزجره عن كثير من القبايح ، وذكر في « المتقى » أبياتا من
 النساء الكاتب أبي محمد عبد القادر بن أحمد بن القاسم الفشتالي
 مما كتب نظريزا على نجاد الوثائق بالله أبي فارس المذكور وهي :

أبيه وأزرى بكل نجاد	بروق على حلة اللابس
إذا كنت يوم الوصي محملا	لعقب حكى شعلة القابس
على عاتق الملك المرتضى	سليل الوصي أبي فارس



عود السلطان زيدان الى فاس واستيلائه عليها

ثم اعراضه عنها سائر ايامه



لما سمع السلطان زيدان ، وهو بمراكش ، بمقتل مصطفى بانسا نهض الى فاس وجاء على طريق الحبل وكان نصارى الاصفيول يومئذ قد برزوا على المراكش وحاولوا الاستيلاء عليها وذلك باذن الشيخ كمال سياني . وكان عبد الله بن الشيخ بفاس فسمع بنزول النصارى على المراكش فاستأجر الناس وحشدهم على الجهاد فتهيأوا لذلك وعزموا على النهوض اليها فيما رأواهم الا السلطان زيدان قد أقبل من ناحية ادخيان ، وقد أنزل بها بجلاء ، وتقدم الى جهة فاس وضرب بأنفاضه فانهزم اناس عن عبد الله ودخل شراكه فاسا فبعث زيدان قائده عبد الصمد لتسكين روعة أهل البلد وأمر المنادي أن ينادى بنصره ، فنزل المنادي الى أن بلغ باب السلسلة فقام في وجهه بعض السباب من أهل العدو وضربه فجرحه ورجع المنادي وبطل الأمر فبلغ الخبر السلطان زيدان فأمر بإطلاق السيل في أهل فاس وتحكيم السيف فيهم ثم ندم فأنهم وسكن روعتهم ، ونزل زيدان بوادي فاس فخرج الناس للقاءه ، وهو غضبان عليهم ، وقد استولى على فاس وتمكن منها ، فأخذ يسب اعيانهم وهم يقتلهم ولكن الله سلم

ثم أن العرب اجتمعوا عند قنطرة المهدومة في نحو ثمانمائة ألف فخرج اليهم زيدان ومعه عرب الشرق فانهزموا عنه ولم يبق معه الا رطل يسير فرأى زيدان امامه خيلا قليلة فقصدتها فاذا فيها عبد الله بن الشيخ وقد رأى زيدان مقبلا اليه ففر ، مع أن زيدان إنما قصد الفرار اليه من غير علم له به فاستب أمر زيدان وتراجع اليه أصحابه ، ومن الغد رجع الى فاس فخرج اليه أهل فاس يهتفون كيارا وصفارا فأنهم بانهم يستهزئون به فأمر بهم قتلوا رجالا ونساء فكان بعضهم ينظر الى عبادة بعض ، وكان يهدم السلب نحو عشرة آلاف كسوة ودخل أصحاب زيدان

فاسا فهبوها وفعلوا فيها الافاعي ، ثم امر زيدان بسكين الروعة والاسان
وكان ذلك كله سادس رجب سنة تسع عشرة والقب ، فلما كان اليوم
الحادي عشر من الشهر المذكور نزل عبد الله بن الشيخ برأس الماء فخرج
اليه زيدان واقتلوا فانهزم زيدان وقتل من اصحابه نحو الخمسمائة ، وفر
الى محله التي ترك بادخسان ، وكان ذلك آخر رجوع زيدان الى فاس
فانه لما اعياء امر الغرب اعرض عنه وصرف عنايته الى ضبط ما خلف وادي ام
الربيع الى مراكش واعمالها ، ونوارث بنوه سلطته على ذالمناجحو من بعده ،
وبقى عبد الله بن الشيخ يقطع الايام بفاس الى ان هلك ، وقسم بامر فاس
من بعده نوارها وسيابها على ما تذكر . وفي كتاب : ابتهاج القلوب فسي
اخبار الشيخ المجذوب ، ما صورته : « تكلم الشيخ سيدي كدار يسوما
في ملوك وقته فقال : « اما الشيخ معلى العرائش ، فان اهل الله قد دقوا
اوتاده هنالك حتى يموت ، فلم يتجاوز محله الى ان قتل به حوز تطلباوين
كما سيأتي ، واما زيدان فانه لما اطلق النيل في اهل فاس ضربه مولاى
ادرس بركلة صبرته وراه ام الربيع فلم يتجاوز به بعد ذلك ، اه



استيلاء نصارى الاصبيول على العرائش والسبب في ذلك



قد تقدم لنا ما كان من خبر الشيخ المأمون من أنه فر إلى العرائش ومنها ركب البحر إلى طاعة الاصبيول مستعرجا به على أخيه السلطان زبدان فأبى الطاغية أن يعمده ، فراوده الشيخ على أن يترك عنده أولاده وحشمه رهنا ويعينه بالمال والرجال حتى إذا ملك أمره بذل له ما شارطه عليه ولم يزل به إلى أن شرط عليه الطاغية أن يخلى له العرائش من المسلمين ويملكه أياها قبل الشيخ ذلك والزمه ، وخرج حتى نزل حجر باديس في ذي الحجة سنة ثمان عشرة والف ثم تقدم فنزل بسلاد الريف

ولا سمع ذلك أهل فاس خافوا من شوكة وذهب جمع من علمائهم ولاعبانهم كالقاضي أبي القاسم بن أبي النعيم ، والشريف أبي اسحاق إبراهيم الصقلي الحسيني وغيرهما للافاقته وتنهت بالقدوم ، فلما وصلوا إليه فرح بهم وأمر قبطان النصارى أن يخرج مدافعه وانقاضه أربابا وأظهارة لقوة النصارى الذين استعصر بهم فقبل حتى اصطكت الأذان وارتجت الجبال ، ونزل القبطان من السفينة للسلام على الأعيان فلما رأوه مقبلا أمرهم الشيخ بالقيام له فقاموا إليه اجمعون ، وجازوه خيرا على ما فعل مع الشيخ من الإحسان والنصرة ، وسلم هو عليهم بنزع قلنسوته على عادة النصارى ، وأمر الناس على أولئك الأعيان قيامهم الكافر ، وضربوا بعضي الذل حتى أنهم في رجوعهم إلى فاس تعرض لهم عرب الحياينة فسلبواهم وأخذوا ما معهم وجردوهم من ملابسهم جميعا ما عدا القاضى ابن أبي النعيم فإنه عرف بزي القضاء فاحترمواوه

ثم إن الشيخ انتقل إلى القصر الكبير وهو قصر كرامة وقصر عبد الكريم فأقام به مدة وراود قواده ورؤساء جيشه أن يقفوا معه في تمكين النصارى من العرائش ليفى له الطاغية بما وعده من النصرة فامتع الناس من أسفاه

في ذلك ولم يوافق على عرضه إلا قائده الكرني فإنه ساعده على ذلك فبعثه
الشيخ إليها وأمره أن يخليها ولا يدع بها أحدا من المسلمين ، فذهب
الكرني المذكور وكلم أهلها في ذلك فامتنعوا من الجلاء عنها فقتل منهم جماعة
وخرج الباقون وهم يكون تحقق على رؤوسهم الوية الصغار

ولما خرج منها المسلمون أقام بها القائد الكرني إلى أن دخلها النصارى
واستولوا عليها في رابع رمضان سنة تسع عشرة وألف ، ووقع في قبض
المسلمين من الامتصاص لاختد العرائش امر عظيم ، وانكروا ذلك أشد
الانكار ، وقام الشريف أبو العباس أحمد بن إدريس العمراني ودار على
مجالس العلم بفارس ونادى بالجهاد والخروج لأغاثة المسلمين بالعرائش ،
فانضاف إليه اقوام وعزموا على التوجه لذلك فقتل في عضدهم قائدهم حمزة
المعروف بابي ديرة ، ومرف وجوههم عما قصدوه في حكاية طويلة

وكان الشيخ ما خاف الفضيحة وانكار الخاصة والعامة عليه اعطاه بلدا
من بلاد الاسلام للكفار احتال في ذلك وكب سؤالا إلى علماء فارس وغيرها
يذكر لهم فيه أنه لما دخل في بلاد العدو الكافر واقبحها كرها بأولاده
وحسنه منه النصارى من الخروج من بلادهم حتى يعطيهم ثغر العرائش ،
وانهم ما تركوه خرج بنفسه حتى ترك لهم اولاده رهنا على ذلك ، فهل
يجوز له أن يفتدي اولاده من أيدي الكفار بهذا الثغر أم لا ؟ فأجابوه
بأن فداء المسلمين سيما اولاد أمير المؤمنين سيما اولاد سيد المرسلين صلى
الله عليه وسلم من يد العدو الكافر باعطاه بلدا من بلاد الاسلام له جائز

(هـ) كان ممن أفتى بالجواز العقبة محمد بن قاسم ابن القاضي بقتله العامة بالقرويين
عند العشاء يوم الاثنين ٢١ حجة عام ١١٤٠ وسبب قتله ما اتهم به من موافقته على تمكين
النصارى من ثغر العرائش إذ كان حاضرا مع من استدعى محمد الشيخ من العلماء لأجل ذلك فتعلق
بأغراض فاسدة وأمر وأهية لم يقبلها أحد ه قاله صاحب الشرح ١ ص ١٥٦ وقد
تأخر قتله عن الحادثة بسنين لأن المأمون قتل سنة ١٠٢٢ ويظهر أن العامة كانت تعقد
عليه فئلته وانتهزت فرصة الفتن التي توالى بعد ذلك بفارس فانتقمت منه والله أعلم

وانا موافقون على ذلك . ووقع هذا الاستفتاء بعد ان وقع ما وقع ، وما اجاب
 من اجاب من العلماء عن ذلك الا خوفا على نفسه . وقد فر جماعة من
 تلك الفتوى كالامام ابي عبد الله محمد الجنان صاحب الطرر على المختصر ،
 والامام ابي العباس أحمد القرى مؤلف «فتح القلب» فاختبأ مدة استبراء
 لديهما حتى صدرت الفتوى من غيرهما ، وبسبب هذه الفتوى ايضا فر جماعة
 من علماء فارس الى البادية كالشيخ أبي علي الحسن الزياتي شارح جمل ابن
 المجراد ، والحافظ ابي العباس أحمد بن يوسف الفاسي وغيرهما *

بقية اخبار الشيخ ومقتله رحمه الله وتجاوز عنه

ثم ان الشيخ ابن انصور نزل بالفحص واجتمعت عليه لمة من أهل
 الدعة والنقاد على شاكلته فنهض بهم الى تالوين فاستولى عليها واخرج
 منها كبيرها المقدم المجاهد ابا العباس أحمد القيس ، ولم يزل الشيخ
 يجرول في بلاد الفحص ويسف اهنها الى ان منته القلوب ونملا' اشياخ
 الفحص على قتله لما رأوا من انحلال عقيدته ورقة ديانتة ، وتمليكهم نفس
 الاسلام للكفار ، ففك به تقدم ابو الليف في وسط محله بموضع يعرف
 بفتح الفرس وبقي حريبا مكتشف المورة ايلما حتى خرج جماعة من أهل
 تالوين فحملوه مع من قل معه من اصحابه كالديرين وبعض اولاده
 ودفعوهم خارج تالوين الى ان حمل الشيخ الى فارس الجديد مع امه
 الخيزران فدفا به ، وكان مقتله خامس رجب سنة اثنين وعشرين وألف

(*) ومن انكر على المأمون واغفل له في الملام الشيخ ابو عبد الله محمد بن ابي
 الحسن المصروف بالحاج الاغصاوي البقال من اولاد الحاج البقال ، فانفذ المأمون امواله
 واتوا به الى فارس فقتله بها ضربا سنة ١٠١٧ ودفن بالسباج وبنيت عليه قبة اه . قاله
 التماسيني في تاريخه ج ٤ ص ٢١٢ . وراجع ترجمته في الشرح اول ص ١٠١ .

وقال منوب : انه وصل الى قرب تطاوين وبني هناك أمراكا وأقسام
 ينتظر اجتماع اجيوش عليه ثم سكر ذات يوم على عادته وخرج الى عيسن
 ماء هناك فاستلقى فيها في نيات اخضر أعجبه خضرته فجاءه اناس من
 اهل تلك البلدة فمرفوه وشدخوا رأسه بصخرة فقتلوه . ويقال ان قتله كان
 بإشارة الناصر ابي محلي الاتي ذكره . وانه كتب الى المقدمين التقييس وابي
 المليف يحضهما على قتله فقتلوه وانتهوا ماله وكان شيئا كبيرا ، ومن حملة
 ما نهب منه نحو المذ من الباقوت وبقي من اثاثه نحو وسق سقينة كان قد
 تركه بطنجة فاستولى عليه نصارها من البرتغال لما قتل ، وكان الشيخ عطية
 الله عنه مشاركة في العلم وبعد في مبادئ الطب أخذ عن أشياخ الحضريين
 وله شعر متقارب ، ومن كتابه الادب العنقن ابو العباس احمد
 ابن محمد الفرديس النطلي وكان من اهل الاجادة والتبريز في صناعة
 الانشاء . قال الشيخ ابو محمد العربي القاسي في شرحه لدلائل الخيرات
 عند قوله : وكان لي جار نسخ ، ما نعه : . وقد كان الشيخ الكاتب
 الرئيس ابو العباس احمد الفرديس شيخ كتاب الانشاء بحضرة قاس رحمه
 الله استعار مني كتاب الانباء في شرح الاسماء للأقلمني ثم مرض مرض
 موته فعدته فوجدت الكتاب عند رأسه ومعه كراريس منسوخة واخصري
 معدة للنسخ فقال لي : . اني اذا وجدت راحة كتبت منه ما قدوت عليه
 فاذا غلبني ما بي امسكت ، فقلت له : . ولم تتكلف هذا ، فقال : . انسي
 عصيت الله بهذه الاصابع ما لا احصيه ترجوت ان يكون ما اعانيه على هذه
 الحال من نسخ هذا الكتاب خاتمة عملي وكفاة لذلك . فكمل الله قصده
 واتم الكتاب وتوفي من مرضه ذلك وقد طال به سنة عشرين والسنة .
 اه ولهذا الكاتب يقول الشاعر :

تمتعت يا فرديس والدهر راقداً وأنت بفلس وابن حيون واجدا
 بسعدك راحت خيزران لقبرها ومصائب قوم عند قوم فوائد

رياسة ولي الله تعالى أبي عبد الله سيدى محمد العياشى على الجهاد ومبدأ امره فى ذلك



هذا الرجل هو ولي الله تعالى المجاهد فى سبيله أبو عبد الله محمد (فتح)
ابن أحمد المالكي الزياتي المعروف بالعياشى ، ونسبته الى بنى مالك بسن
زغبة الهلالين ، وهم اليوم قبيلة من عرب الغرب ، كان رحمه الله مستوطنا
مدينة سلا ، وكان من تلامذة الولي العارف بالله تعالى أبي محمد عبد الله
ابن حسون السلاسى دفين سلا ،

وكان ابتداء امر أبي عبد الله أنه كان ملازما لشيخه المذكور من
أقرب التلامذة اليه واسرعهم الى خدمته واولهم دخولا عليه وآخرهم
خروجا عنه وكان مع ذلك كثير الورع قليل الكلام مديما للصيام وقراءة
القرآن فكان الشيخ ابن حسون ملتفتا اليه ، ولم يزل الامر على ذلك الى
ان شاعت مناقب الشيخ وكثر غائبه ، فاعدى له يوما بعض اشياخ القبائل
فرسا فامر الشيخ باسراجه وقال : «ابن محمد العياشى ؟» فقال : ها أنا ذا
يا سيدى ، فقال الشيخ : «اركب بحول الله فريك ودينك وأخرتك ،
فتقهقر ناديا فحلف عليه ليركن وحسب له الركاب يده ، وقال له :
ارتحل عني الى آزموور وانزل على اولاد أبي عزيز ولا يد لك من
الرجوع الى هذه البلاد وسيكون لك شأن عظيم فودعه أبو عبد الله ووضع
الشيخ يده على رأسه وبكى ودعا له بخير ، فقصده ناحية آزموور ونزل
حيث عين له شيخه المذكور ، وذلك لأول دولة السلطان زيدان سنة ثلاث
عشرة واللف ، فلم يزل أبو عبد الله العياشى متابعا على الجهاد شديد
الشكيمة على العدو عارفا بوجوه المكاييد الحربية بطلا شهيدا مقداما فى مواطن
الاحجام وفورا صوتا عن الكلام ، فطار بذلك فى البلاد حيته وشاع بين
الناس ذكره لما هو عليه من التضيق على نصارى الجديدة ، وكانوا يومئذ

قد امر أمرهم ، ففرح بذلك قائد آزموور ، ولم يزل الأمر على ذلك الى أن توفي قائد الفحص والبلاد الآزموورية فسأل السلطان زيدان عمن يليق بتولية ذلك المنقر فقبل له : سيدى محمد العياشى ، فكتب اليه بالتولية فقبل ، ونهض باعباء ما حمل من ولاية الفحص وجهاده .

وكانت له مع نصارى الجديدة وقائع وضيق عليهم حتى مهمهم من الحوث والرعى فبعث النصارى الى حاشية السلطان زيدان بالسحب ونفائس الهدايا ليعزلوا عنهم ابا عبد الله المذكور لمصايغته لهم ، فخوفوا السلطان زيدان عاقبه وحضوه على عزله ، واظهروا له انه مسموع الكلمة فى تلك النواحي ، وأنه يخشى على الدولة منه ، وكان ابو عبد الله العياشى كلما بعث بالقبائل وما يفتح الله به عليه من الاسارى الى مراكز ازدادت شهرته وتناقل الناس حديثه ، فوغر بذلك قلب زيدان وحق عليه ، فبعث اليه قائده محمد السنوسى فى اربعماية فارس وامره بالقبض عليه وقتله ، والقى الله فى قلب القائد المذكور الشفقة عليه لما يعلم من برائه مما قذف به فبعث اليه خفية : ان اتج بنفسك فانك مغدور ، فخرج ابو عبد الله العياشى فى اربعين رجلا فرسانا ومائة قاصدين سلا فاستقر بها سنة ثلاث وعشرين واثم ولما انتهى السنوسى الى آزموور ولم يجد له أثرا أظهر الضاية بالبحث عنه وعاقب شردية من أهل الفحص على افلاته تعمية على السلطان واقامة لعذره عنده ، فقبل السلطان زيدان ذلك والله غالب على أمره .

ثورة الفقيه أبي العباس أحمد بن عبد الله السجلماسي

المعروف بأبي محلى



قال في كتابه : أصلت الحرث : ما ملخصه : ، كانت ولادتي سنة سبع وستين وتسعمائة بسجلماسة والذي تلقته من أبي وكافة عمومتي أن أولاد أبي محلى من ذرية العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، وأما جدنا الأشهر المكنى بأبي محلى بفتح الميم والحاء وكسر اللام المشددة بعدها ياء تخفية ساكنة مع كبير شهرته لا علم لي الآن بسبب نكته بذلك ولا إتفايل أحواله بعد البحث عنه ، قال : وبخطه القضاء اشتهر سينا فنعرف بأولاد القاضي وزاوية القاضي ولم ترل بقية العلم في دورنا وخصوصا دار أبي (*) ، اهـ

وقال صاحب : البستان : ، أبو محلى هذا اسمه أحمد بن عبد الله وينسب إلى بني العباس ويعرفون في سجلماسة بأولاد ابن اليسع أهل زاوية القاضي ، انتهى . قلت : أما الانساب إلى العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فقد أنكر ابن خلدون وجود النسبة العباسية في المغرب ، قال في فصل اختلاط الانساب وما بعده ما نصه : ، ولم يعلم دخول أحد من العباسيين إلى المغرب لأنه كان منذ أول دولتهم على دعوة العلويين أعدائهم من الإدارة والعبيدين فكيف يسقط العباسي إلى أحد من شيعة العلويين ، اهـ ثم قال أبو محلى في الكتاب المذكور : ، قلما نشأت في حجر والدي بسذل مجهوده في تعليمي ، وقد كانت أمي رأيت وهي حامل بي وليا من أولياء الله تعالى أحد شيوخ التربة بلدنا ، وهو الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله السجلماسي ، قد سقاها قدحا من لبن ، وأرجو الله صدق تأويلها بالعلم والدين وحق اليقين ، قال : ، وكان خروجي لطلب العلم بفاس في حدود

(*) انظر الرحلة العياشيّة ج. ١ ص. ١٩

السمانين وتسعمائة ، وأنا يومئذ مراهق أو بالغ الحلم ، لا همة في الا في العلم ، فافقت بفلس نحو خمس سنين الى ان جاء النصارى الى وادي المخازن فدهش الناس ، واستشرت اخا من الطلبة فدلني على الخروج الى ابادية حتى يتجلى نهار الامن ، فخرجت الى كريكرة وحفظت فيها الرسالة ، وقد كنت ما حصلت بفلس الا النحو ، ثم رجعت الى فلس بعد ان زال الدهش بهزيمة النصارى وولاية انصور ، والنحو ضمني ، وفي الفقه رغبتي .

وقد كنت في الحرجة الاولى الى ابادية زرت قبر الشيخ ابي يعزى رضي الله عنه فطلبت الله عنه ان اكسور من الراسخين في العلوم بأسرها ، وتوبة يتقبلها فما دار على الحول الا وأنا براوية الشيخ ابي عبد الله سيدى محمد بن مبارك الزعرى ، لا عن قصد ، تكوني اذذاك مولعا بالعلم ، أما طريق الفقر فلا تخطر لي بالبال لأن المعتمد يومئذ في قفراء الوقت اخلاق الضلال ، فكنت أشد الناس حذرا منهم الى ان انكشف السر فرأيت ما دأبت ووعيت ، فصاحبت شيخى الذى تولا مع فضل الله لهاكت ، ولولا عدايته ياذن الله لفضلت ، أعنى أبا عبد الله مولاي محمد بن مبارك الزعرى القليل الجردى السيل وهو رضي الله عنه من قبيلة عرب بالمغرب يقال لهم زعر بصيغة الصغير والنسب اليها زعرى على التكبير ، وهى قبيلة من عرب السوس بالمغرب الأقصى ، قال : « بقيت في صحبة شيخى المذكور نحو من ثمان عشرة سنة وما فارقته الا عن أمره » هو السدى وجهتى الى بلدى سجلماسة من غير احتياذ قتلا لى : « صلاحهم فيك » ثم ناولنى عصاه وبرسه وتعله من غير طلب منى شئ من ذلك ، وجعل في رأسى فلسوة كالخرقة بيضاء اليمنى عند الوداع ، فلما استوطنت بلدى عن اذنه زرتة منه احدى عشرة مرة ، وفي الاخرة منها وذلك بعد مقفلسى من الحجة الاولى التى كانت سنة اثنين بعد الألف دعالى بقوله : « يلاك الله أكثر مما بلانى » فأولتها بأقوال الخلق كما ترى ، وقد صاح عندهما صيحة عظيمة لم أر مثلاً لها منذ صحت ، اذ عادته كانت العلمانية ،

ولما توفي رحمه الله بقيت نحو من ثلاث سنين عاطلا ، ثم تحلى التحسر
 بدرر لطائفه المنوعود بها فله الحمد على ما أسدى وله الشكر فيما أولى .
 ثم ذكر بقية أشياخه كالشيخ أبي العباس المنجور ، والشيخ أبي العباس
 السوداني ، والشيخ سالم السهري وغيرهم ممن يهول ذكرهم ، قال :
 ثم كملت الفائدة بعد المفضل من الحج فرجعت الى الديار المغربية وزلزلت
 بوادي الساوره ثم تحولت يجمع عياني ابي الوادي المذكور ، هذا ملخص
 أوليته منقولاً من كتابه المذكور .

وقال الشيخ أبو العباس أحمد التلوي رحمه الله تعالى في رسالته
 التي سماها ، مقامة التحلى والتخلي من صحبة الشيخ أبي محلي ، وهي
 رسالة طويلة مشجعة قال : كان الفقيه أبو محلي في أول أمره فقها صرفا
 ثم انتحل طريقة الصوف مدح حتى وقع على بعض الأحوال الربانية ولاحق
 له مخايل الولاية فانحسر الناس تزيينته أقواجا ، وقصدوه فرادى وأزواجه
 وبعد حيه وكثرت أتباعه ، قال : فلما سمعت بذلك ذهبت اليه وجلست
 عنده التي ان وجدته يشير الى نفسه بأنه المهدي المعلوم المنسب به في صحيح
 الأحاديث فتركه وراءه وبذته بالعراء ، اهـ

وقال الشيخ اليوسفي في محاضراته ، وقد تكلم على الدعوى الفاطمية
 ما نصه : ومن ابتلى بها فربما أحمد بن عبد الله بن أبي محلي النسائي
 خاض في الطريق حتى حصل له نصيب من الذوق ، وألف فيها كتابا يدل
 على ذلك ثم نزلت به هذه النزعة فحدثونا انه كان في أول أمره معاشر
 لمحمد بن أبي بكر الدلامي ، وكان البلد إذ ذاك قد كثرت فيه الماكسر
 وشاعت فقال ابن أبي محلي لابن أبي بكر ذات ليلة هل لك في أن تخرج
 غدا الى الناس فتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ؟ فلم يساعفه لما رأى
 من تعذر ذلك لفساد الوقت وتفاقم الشر ، فلما أصرحوا ، فلما ابن أبي
 بكر فانطلق الى ناحية النهر فصل ثيابه وأزال شعثه بالحلق وأقام صلاته
 وأوراده في أوقاتها ، وأما ابن أبي محلي فتقدم لما هم به من الحسية فوقع
 في شر وخضام أداه الى قنات الصلاة عن الوقت ، ولم يحصل على طائل ،

فلما اجتمعوا بالليل قال له ابن أبي بكر : « أما أنا فقد قضيت ما ربي
وحفظت ديني وانقلبت في سلامة وصفاء ومن أتى منكرا فإله حبيبه »
أو نحو هذا من الكلام ، وأما أنت فانظر ما الذي وقعت فيه ، ثم لم
يسته الى أن ذهب الى بلاد القبله ودعا لنفسه وادعى أنه المهدي المنتظر وأنه
يصدد الجهاد فاستخف قلوب العوام واتبعوه » اهـ .

وصار ابن أبي محلي يكتب رؤساء القبائل وعظماء البلدان بأمرهم
بالمعروف ويحضهم على الاستمساك بالسنة ، ويشيع أنه الفاطمي المنتظر ،
وإن من تبعه فهو الفاتر ومن تخلف عنه فموبق ، وربما كان يقول لأصحابه
محرضا لهم على نصرته : « أنتم أفضل من أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم ، لأنكم قعتم بنصر الحق في زمن الباطل ، وهم قاموا به في زمن
الحق ، ونحو هذا من زخارف كلامه ، وإلى ذلك أشار الفقيه أبو ركريا يحيى
ابن عبد المعتم الحاحي في بعض قصائده معرضا بأبي محلي المذكور فقال :
يا أمة المصطفى الهادي أنيس لكم فمن مضى أسوة من سائر العلماء
بسبب دين خير الخلق وافتقرت آراؤكم فقدا الاسلام مقسما
أنحسبون بسأن الله يارككم مدى وخلقكم قد تعلمون أمما
ناشدتكم بالذي في العرض يجمعها أما فطنتم ومالاء كمن فهمها
بان مغربكم قد عمه سخط من المهيمين يا لله مقتصا
إن قيل للناس إن الهرج يوقعكم قالوا الفقيه فلان قبلنا اعزما
لو لم يكن جاز ما أفتى الامام به ولا أئماء ألا تبوا الذي انهدما
ومن يقل قال خير الخلق قبل له ها صاحب الوقت يكفينا الذي علما
ونحن أفضل من صاحب الرسول لنا أجر يضاعف في أجزائنا نظما
ورخرفوا ترهات القول فانقطعت لهم نفوس عوام رشدها عدما

نهوض ابن أبي محلي الى سجلماسة ودرعة واستيلاؤهما عليهما

ثم على مراكنس بعدهما

❦

كان أبو العباس ابن أبي محلي عفا الله عنه لما كثرت جموعه وانتدال
الناس عليه يصرح بوجوب القيام بتغيير لشكر الذي شاع في الناس
ويقول : « ان أولاد المنصور قد نهالكوا في طلب الملك حتى قتل الناس
فيما بينهم وانتهت الاموال واستهكت المحارم فيجب الضرب على أيديهم
وكسر شوكتهم » ، ولا يلقه ما فعل الشيخ من اجلاء المسلمين عن العرائش
وبعض الممدوحين الكفار استشاط غضبا وأظهر أنه غضب لله لا لشيء سواه
فخرج يوم سجلماسة ، وكان خليفة زيدان عليها يومئذ يسمى الحاج
المبر ، فخرج عامل زيدان لمصادمته ، وهو في نحو أربعة آلاف ، وابن
أبي محلي في نحو أربعمائة ، فلما التقى الجمعان كانت الدبرة على جيش
زيدان ، وأشاع الناس أن الرصاص يقع على أصحاب أبي محلي باردا
لا يضرهم ، وتفتح للشيطان في هذه القرية فكنت حينئذ في القلوب ،
وتمكن ناموسه منها ، ولا دخل سجلماسة أظهر العدل وغير المتأكر فأجبه
الحامة ، وقدمت عليه وفود أهل تلمسان والرائدية بهشونة ، وفيهم الفقيه
العلامة أبو عثمان سعيد الخزازي المعروف بقدورة شارح السلم ، وهو
من تلامذة ابن أبي محلي كما ذكره في الإصليات ، ولا بلغ خير الهزيمة
أنى زيدان وانتهى إليه فلما جهز إليه من مراكنس جيشا ، وأمر عليه أخاه
عبد الله بن المنصور المعروف بالزبدية فسمع به أبو محلي فصار إليه فكان
اللقاء بينهما بدرعة ، فوفقت الهزيمة على عبد الله بن المنصور ومات من
أصحابه نحو الثلاثة آلاف ، ففوى أمر ابن أبي محلي واشتدت شوكة ،
وجمع بين سجلماسة ودرعة ، وكان القائد يونس الأيسى قد هرب من
زيدان لأمر تقمه عليه وقعد الى أبي محلي ، فجاء معه يقوده وبطلعه على
عورات زيدان ويهون عليه أمره ، وما زال به الى أن أتى به الى مراكنس

فبعث اليه زيدان جيشا كبيرا فهزمه أبو محلي ، وقدم قدخسل مراكنش واستولى عليها ، وفر زيدان الى نجر آسنى ، وهم يركوب البحر الى بر المدوة هكذا فى « التزممة » .

وذكر نورير البرتغالى فى كتابه الموضوع فى أخبار الجديدة : « ان نصارى الجديدة بعثوا الى السلطان زيدان بمائتين من مقاتلتهم اعانة له على دروه من غير أن يطلب منهم ذلك ، فلما وصلوا اليه ألف من الاستعانة بهم على المسلمين ، لكنه أحسن اليهم وأطلق لهم بعض أسراهم وردد لهم مكرمين » هذا كلامه « وأخفى ما شهدت به الأعداء » وذلك هو الظن بزبدان رحمه الله .

ولما دخل أبو محلي قصر الخلافة بمراكش فعل فيه ما شاء ، وولد له هالك مولود سماه زيدان ، ويقال : انه تزوج أم زيدان وبنى بها وذهب فى رأسه شوة الملك ونسى ما بنى عليه أمره من الحية والسك .

وفى « المحاضرات » للشيخ ابوسرى رحمه الله ما صورته : « وزعموا أن اخوانه من الفقراء ذهبوا اليه حين استولى على مراكش يرسم زيارته ونهشته ، فلما كانوا بين يديه أخذوا يهشونه ويخرجون له ما حذر من الملك ، وفيهم رجل ساكت لا يتكلم ، فقال له : « ما شئت لا تكلم » . وألح عليه فى الكلام ، فقال الرجل : « أنت اليوم سلطان فان أمتنى على أن أقول الحق قلته ، قال له : « أنت آمن ققل » فقال : « ان الكرة التى يلعب بها الصبيان ببعضها المائتان وأكر من خلفها وينكسر الناس ويخرجون وقد يموتون ويكثر الصباح والهول فإذا فتت لم يوجد فيها الا شراويط » أى خرق يابسة مفقوفة ، فلما سمع ابن أبى محلي هذا امثل وفيهم بكى وقال : « ربما أن يجير الدين قاتلقناه » انتهى



استصر اخ السلطان زيدان بأبي زكرياء يحيى بن عبد المنعم الحارثي
ومقتل أبي محلي رحمه الله



لما التف الرعاع من العامة على أبي محلي وكثرت جموعه وعلم زيدان
ضعفه عن مقاومته كتب اليه الفقيه أبي زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد
ابن عبد المنعم الحارثي ثم الداودي مستغيثا به ، ثم وفد عليه بنفسه .
وكان يحيى بزاوية أبيه من جبل درق ، وله شهرة عظيمة بالحقق النسوي
وله أتباع ، فأتاه السلطان زيدان وقال له : « ان يرضى في أعناقكم وأنا
بين أظهركم فيجب عليكم المذب على ومقاتلة من ناداني » ، فلبى أبو زكرياء
دعوته ، وحضر الجيوش من كل جهة ، وخرج يوم مراكش في ثمانين
رمضان سنة اثنين وعشرين وألف .

ولما انتهى الى قم تأتوت موضع على مرحلتين من مراكش كتب اليه
أبو محلي بما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم من أحمد بن عبد الله
الي يحيى بن عبد الله ، أما بعد ، فقد بلغني أنك جئت وبتت ، وفي قم
تأتوت نزلت ، أهبط الي النوايا ، ينكشف بيننا الغطاء ، فالذهب قتال
والاسد صوال ، والايام لا تستقيم الا بطن القنا وضرب الحسام والسلام ،
فجابه يحيى بما نصه : « من يحيى بن عبد الله الي أحمد بن عبد الله ،
أما بعد ، فليست الايام لي ولا لك انما هي للملك العلام ، وقد أتيتك
بأهل النفاق الاحرار ، من الشبانة ومن اتى اليهم من بني جرار ، ومن أهل
الشردور والبؤس ، من هشوكه الي بني كسوس ، فأتوعد بني وبنيك
جليلز ، هنالك ينتقم الله من الظالم ويعز العزيز »

ثم زحف يحيى الي مراكش في جموعه فنزل بقرب جبلز جبل
مطل على مراكش ، ويرز اليه أبو محلي ، والتحم القتال بينهما فكانت أول
رصاصه في نحر أبي محلي فهلك مكانه ، وانذرت جموعه ، ونهت
محله ، واحتز رأسه وعلق على سور مراكش ، فبقى معلقا هنالك مع

رؤوس جماعة من أصحابه نحووا من اثني عشرة سنة ، وحملت جثته
فدفنت بروضة الشيخ أبي العباس السبتي تحت المكتب المعلق هنالك عند
المسجد الجامع . وزعم أصحابه أنه لم يمض ولكنه تغيب .

قال اليفرنى : « وحدثني من أتق به من أهل وادي الساوره أن فيهم
الى الآن من هو على هذا الاعتقاد »

وذكر الشيخ البوسى فى : المحاضرات : « أن أبا محلى كان
ذات يوم عند استاذ ابن مبارك فورد عليه وارد حال فحرك وجعل
يقول : « أنا سلطان أنا سلطان » فقال له الاستاذ : « يا أحمد هب انك
تكون سلطانا ، انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا » ووقع فى يوم
آخر للفقره سماع فحرك أبو محلى وجعل يقول « أنا سلطان أنا سلطان »
فحرك فقير آخر وجعل يقول « ثلاث سنين غير ربح ، ثلاث سنين غير
ربح » قال : « وهذه هى مدة ملكه » اه .

ويذكر انه لما طاف بالبيت فى وجهته الحجازية سمع وهو يقول :
يا رب انك قلت ، وقولك الحق ، « وتلك الايام نداولها بين الناس » فاجعل
لى يا رب دولة بينهم ، قالوا : « ولم يسأل حسن العاقبة فرزق الدولة وآل
به الامر الى ما أبرمت يد القدرة » وكان أبو محلى رحمه الله فقيها محصلا
له قلم بليغ ونفس عال ، وله تأليف منها « الوضاح » و « القسطاس »
« والاصلية » « والهودج » « ومسجتي الصخور فى الرد على أهل الفجور »
« وجواب الحروبى عن رسالته النيرة لابی عمرو القسطلى » وغير ذلك ،
وقد وقعت بينه وبين يحيى بن عبد الله مراسلات ومهاجرات نظما
وشرا كقوليه :

أبيحى الحسيس الندى مالك تدعى يزور شعرا للفحول الاوائل
كدعواك فى بيت النبوة نسيه وأنت دنىء من أخس القبائل
ووجهك وجه القرذقع صورة ورأسك رأس الديك بين المزابل

وزعمون أن يحيى كان معاشر لابی محلى أيام الطلب بالمدرسة

(الاستقصا - سادس - ٣)

بفاس قال البيهقي : وحدثني صاحبنا القاضي أبو زيد السكتاني أنه وقف على تأليف كبير مشتمل على ما وقع بين يحيى وأبي محلي من السمر في غرض الهجاء وغيره .

وقد رمز تاريخ نورة أبي محلي ووفاته ، الشيخ الفقيه أبو العباس أحمد المريني المراكشي فقال : « قام طيشا ومات كبشا » ولا يخفى ما فيه بعد إفادة التاريخ من حسن التلميح وبديع التورية ، ولما قتل ابن أبي محلي دخل يحيى مراكش واستقر بدار أخلاقه منها وألقى بها عصا تسيرته ، ورام أن يحكمها دار قراره ، فكتب إليه السلطان زيدان يقول : « أما بعد فإن كنت إنما جئت لتصري وكف يد ذلك الناصر عني فقد أبلغت المراد وشفيت الفؤاد ، وإن كنت إنما رمت أن تجر النار لقرصك ، وتجمل الملك من فمك فأقر الله عينك به » والسلام . فتجهز يحيى للعود إلى وطنه وأظهر العفة عن الملك وأنه إنما جاء ليدافع عن السلطان الذي يبعثه في عقه ، وانقلب إلى بلاده ورجع زيدان إلى مراكش ، فاستقر بدار ملكه وقد قبل : أن يحيى رام الملك وأن اجناده من الربر لم يساعدوه فسي قصة طويلة . والله اعلم



بقية أخبار أبي زكرياء يحيى بن عبد المنعم الحارثي وما دار بينه وبين السلطان زيدات رحمهما الله



هو يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحارثي الداودي المناني وكان جده سعيد واحد وقته علما ودينا وهو الذي أحيا الله به السنة بالسوس ، وانتعش به الاسلام فيه ، وتوفي سنة ثلثات وخمسين وتسعمائة فخلفه ولده ابو محمد عبد الله وجرى على نهجه وسيله ، بل كان بعض الناس يفضل على أبيه ، وتوفي سنة اثني عشرة وألف ودفن بزداغة من جبل درن حيث كانت زاويته ، ولما مات جلس ولده ابو زكرياء يحيى موضعه وانتهج سبيله ، وكان فيها مشاركا رحل الى فارس واخذ عن شيوخها كالمتجور وغيره ، وعن الشيخ العارف بالله ابي العباس أحمد الحسيني على ما وجد بخطه السوساني الشهير بأدق قال دفن درعة ، وهو معصده ، أخذ عنه كثيرا من القنون وأجازته في علوم الحديث اجازة عامة ، وكان يحيى شاعرا محسنا ، وكانت له شهرة عظيمة بالصلاح ، وله اتباع كوالده وجدّه ، وتوجهت الى زيارته الهم ، وركبت اليه التجائب الا أنه وقع له قريب مما وقع لابي محلي ، فعصدي للملك رخاض في امور السلطنة فتكدر مشربه ، وقد قال بعض العلماء : « ان الرياسة اذا دخلت قلب رجل لا تقصر عن اذهاب رأسه » ، ولذلك قال صاحب « الفوائد » (*) في حقه :

[*] كتاب الفوائد الجمّة باستاد علوم الامة . ضاحيه هو الشيخ أبو زيد عبد الرحمن ابن محمد بن ابراهيم بن أحمد الجزولي المعروف بالتمارتي نسبة الى تمارت واحدة بجنوب الاطلس . تولى قضاء تارودانت وتوفي في حدود السبعين وألف المسوافق سنة ١٦٦٠ . وقد نقل عنه اليفرنسي الكثير في النزهة . وتوجد منه نسخة الآن في مكتبتنا هذا وهو سنة ١٣٥١ الموافقة لسنة ١٩٣٢ في مكتبة قاضي تارودانت السيد موسى بن العربي . وأخرى بغير اتنا الناصرية بسلا .

« انه قام لجمع الكلمة والنظر في مصالح الامة ، فاستمر به علاج ذلك
 الى ان توفي ولم يتم له امر ، وكان يرسل السلطان زيدان ويكرر عليه
 وبجير عليه من استجار به ويروم الى مناصبته ابتغاء ، وسر من ذلك حصوا
 في ارتقاء ، وكان زيدان يحمل منه امرا عظيما . فعما كب به يحيى اليه
 ما نصه : « من يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم كذا الله له بجميل
 خلقه آمين ، اللهم انا حمدك على كل حال ، ونشكرك بولي المؤمنين على
 دفع اللأواء والمحال ، ونصلي ونسلم على طيفك افضل من شدة اليه الرحال ،
 ونسوجهك بمولانا جميل طيفك وجزيل فضلك في المقام والترحال ،
 عائدين بوجهك الكريم من مؤاخذتنا بسوء أعمالنا يا شديد المحال ، هذا
 وسلام الله الائم ، ورضوانه الاعم ، ورحمته وبركاته على المولى الامام
 العلم المقدم ، العلوى الهام ، كيف انتم وكيف احوالكم مع هذا الزمان
 الذى شعر عن ساقه نسل الأديان ، والحج فى اقتضاء هواد على كل مديان ،
 فان لله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وبعد ،
 فليأتكم به اليكم فى هذه البطاقة امور ثلاثة مدارها على قوله صلى الله عليه
 وسلم : « الذين النصحة لله ورسوله ولكايد وللخاصة المسلمين وعامتهم ،
 فالاول : بيان سب الركون الى حاجتكم ، والثاني : الحامل على دفع مناوئكم ،
 والثالث : ملازمة نصحتكم وتذكيركم والضجر مما يصدر منكم ومن احوالكم
 للربعة ، أما الاول فله اسباب كبره منها : مراعاة الجنب السوى الكريم
 فى أهل بيته ، ورضى الله عن ابي بكر الصديق القائل : « ارفوا محمدا فى
 أهل بيته ، والقائل : « لقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى
 ان أصل من قرأه » .

بأهل بيت رسول الله جكم فرض من الله فى القرآن أنزله
 يكفكم من عظيم المجد انكم من لم يضل عليكم لا صلاه له
 ومنها : نصح خاصة المسلمين الذى هو : الدعاء بالهداية لهم ورد
 للقلوب النافرة اليهم ، ونصحهم بقدر الامكان مشافهة ومراسلة ومكاتبة ،
 وقد بذنا الجهد فى الجميع اخلى الله القصد فى الجميع ، وأما الثاني : فلما

جری القدر بتغلب ذلك الانسان السلط على النفس والحريم والاموال
وادخل بأويلاته البعيدة عن الصواب ما ليس في المذهب ، ونعدى خصوص
الولاية الى سائر الرعية فاضلها ومنعوتها ، ومد مع ذلك يد الوعيد المؤكد
بالايمان اليها في الانفس والاموال ، فاستدنا ، كما قرر في قوى الائمة
رضى الله عنهم ، حيث توفرت فيه فصول الصالح كلها يشاهد الحبان ، فكان
الامر كما قدر الله تعالى ، . ولله الامر من قبل ومن بعد ، واما الثالث :
فالكتاب والسنة والاجماع ، أما الكتاب فسورة : والعصر ، فائمة ابرهان في
كل لوان وعصر . وقال تعالى في قضية كلمته : . رب بما اتعنت على نفس
الكون ظهيرا للمجرمين . وقد استشهد به بعض العلماء في برى قلم لكتاب
بعض الامراء المتقدمين ، وحب الله ونعم الوكيل . وقوله جل من قائل :
، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واما السنة :
فالحديث الاول ، قوله صلى الله عليه وسلم : « آمنين شريك » ، وقوله :
« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده » ، فان لم يقدر قبلته ، فان لم يقدر
فقبه ، وذلك اضغف الايمان ، وقد كما مقصدين على التغير باللسان والقلم
لكون التغير العمل اليكم حتى جذبتونا اليه ، ودلتونا بارتكاب اصعب
مرام عليه ، وقوله : « من اعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم
القيامة مكتوبا بين عينيه : آيس من رحمة الله » ، وقد قال المواق في شرحه
على المختصر : « من اعان على عزل انسان وتولية غيره ولم يأمن سفك
دم مسلم فهو شريك في دمه ان سفك » ، ثم اتى بالحديث المتقدم استعظاما
لذلك الامر القطيع ، فانا لله وانا اليه راجعون ، على انا انخدعنا بالله حتى
كما تأمن بالقطع سفك الدماء اذ ذاك ، حيث كتب اليها مرارا وأمنت وارسلت
وكتبت أنخوف من هذا الواقع اليوم بأزمور وآسفى ومراكش والغرب ،
ولذلك كنت المحنت عليكم في تقرير العهد حتى أثنائي لاقائد عبد العادق
بصحف ذكر انه لسلطان تلمسان في جرم صغير ، وقال لي : « أمرنى
السلطان ان احلف لك فيه نيابة عنه على بقاءه على العهد فيما بينك وبينه
من تأمين كل من امته ، ولعضاء كل ما رأته صلاحا للامة » ، ثم لم اكف

حتى أنسى التقاضى فكُتِبَ الىّ معه : « ان كل ما رأيت فيه اصلاح للامة
 أمضيته ، وانك انت كل من امته » ثم بعد استقرارك في دارك كُتِبَ الىّ
 كتابا : « انك باق على ما تعهدنا معك عليه من الامور كلها على معيار
 الشريعة ، فما راعى الا وقد أخفرت في ذمة الله وأمانى الذى عقدته
 للناس ، فمن مأسور ومقيد ومطلوب بمال ومطروود عن بلد ، واخبار آخر
 نرد علينا من جهة السواحل ، وان الناس تباع فيها لتعدو دمره الله ، ولم ير
 من اهل بذلك ممن قلدنوه امور الثغور ، فلم ندر هل يملك ذلك
 فنسقط عنا ملامه للشرع ، او لم يملك فاعلمنا لله لتطمئن قلوبنا ، فانسى
 اكتابك في ذلك فلا ارى جوابا ، فكتبته والله من الامر عجبا ، فان عدوت
 ما من الله به عليك من رجوعك الى سرير ملكك واجتماعك بسربك أما
 من قبل النعم فقيده بما تقيد به كما في كريم علمك ، وان رأيت بطرس
 آخر فان لله ما في السموات وما في الارض ، ولما الاجماع : فلم ير من
 العلماء من نهى عن نصح خاصة المسلمين وتبليغهم على ما يصلح بهم وبالرعية ، بل عدوه
 من الدين للحديث الاول وغيره ، واما ما استشرنا من امناضكم من عدم
 الالة القول في مكاتبتنا لكم فما خاطبناكم قط رعا لذلك ، ولو ينصف منا
 خاطب به الائمة الاول اهل زمانهم انكالا على مطالبكم لكتبهم ، وعلمكم
 بما لم نعلمه من ذلك ولم نروه ، ويكفيكم نصح الفضيل وسفيان وامامنا
 مالك رضى الله عنهم ، لماصرهم من الولاة ومنهم من بكى وانتفع ، ومنهم
 من غشى عليه وتوجع ، ومنهم من ندم واسترجع ، الى غير ما ذكرنا على
 اختلاف الاعصار ، وتنوع الدول والافطار ، فبذلك اقتدينا ، وبما كان عليه
 اشيائنا واسلافنا لكم وللاسلافكم عمانا ، كالفقيه شيخ والدنا رحمه الله سيدى
 عبد الله الهبطى لجدكم المرحوم بكرم الله ، فطمعت بنجح النصح ونفعه
 دنيا واخرى ، فهذا أصل قضينا معكم وحلم جرا ، والذكرى تنفع المؤمنين
 على كل الاحوال ، والحمد لله على كل حال ، والصلاة والسلام على سيدنا
 محمد وآله خير آل ، وتاريخ أواخر ربيع النبوى الانور كبه عن اذنه
 رضى الله عنه عبد ربه محمد بن الحسن بن ابى القاسم لطف الله به

بسمه . اه فاجابه السلطان زيدان رحمه الله بما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

وحلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

من عبد ربه تعالى المتقرب المعترف : زيدان بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد ، الى السيد أبى زكرياء يحيى بن السيد أبى محمد عبد الله ابن سعيد ، أعاننا الله وإياكم على اتباع الحق ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد ، فقد ورد علينا كتابكم ففحصنا محتواه ووقفنا على سائر فصوله ، نسب اننا ان جاورناكم على ما يقتضيه المقام الخطاى ربما غيركم ذلك وادى الى المباغضة والشاحنة ، فيحكى عن عثمان رضى الله عنه انه بعث الى على رضى الله عنه واحضره عنده والقى اليه ما كان يجهده من اولاد الصحابة الذين اعصوبوا باهل الردة الذين كان رجوعهم الى الاسلام على يد الصديق رضى الله عنه وهو فى كل ذلك لا يجيبه ، فقال له عثمان رضى الله عنه : ما أسكتك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ان تكلمت فلا أقول الا ما تكره ، وان سكنت فليس لك عندي الا ما تحب ، ولكن لما لم أجد بدا من الجواب أرى ان أقدم لك مقدمة قبل الجواب ، فلتعلم ان الحجاج لما ولاه عبد الملك المراقى وكان من سيرته ما يبنى اشتهاؤه عن تظيره هنا ، فتأول الحسن الأشعث الخروج عليه وتابعه على ذلك جماعة من التابعين كسعيد بن جبيرة وامثاله من اولاد الصحابة رضى الله عنهم ، ولما قوى عزيمتهم على ذلك استدعوا الحسن البصرى لذلك فقال : لا أفعل فاننى ارى الحجاج عقوبة من الله تنفرع الى الدعاء اولى ، قال بعض فضلاء السجم : يؤخذ من هذا ان الخروج على السلطان من الكبائر وجواز المقام تحت ولاية الظلم والجور ، وقد علمت ما كان من امر عبد الرحمن بن الأشعث وسعيد وامثاله ، وعلمت قضية أهل الحرّة ، لما اوقع بهم جند يزيد بن معاوية بالحرم الشريف ولما بلغه الخبر أنشد :
ليت أشياخى يبدروا شهدوا جزع الخرج من وقع الأسل
وشاع ذلك عنه وذاع ، وكان على عهد أكابر الصحابة وأولادهم ،

ولا تعرض أحد منهم تكبير عليه ، ولا تصدى قيام ولا خاطبه بسلام ، وأما ما يرجع الى جواب الكتاب فاما ما حكيت عن الصديق رضى الله عنه ففى أهل البيت والأحاديث الواردة فيهم وأنه يجب تعظيمهم واحترامهم وتبجيلهم لأجل النبى صلى الله عليه وسلم ، فإن كان يجب عليكم تعظيمهم فإن تعظيمهم يجب على أولى وأولى عملا بقوله تعالى : ، قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى . واجرى الله تعالى عادته أنه ما تصدى أحد لعداوة هذا البيت النبوى إلا كبه الله لوجهه ، وأما ما لوردتم من الأحاديث فى النصح فأنى والله أحب أن تصحى سرا وعلاية مع زيادة شكرى عليه ، وأراها منك مودة وأعداها محبة ، ولكى أفعل ما أقدر عليه ، لأن الله سبحانه يقول : ، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها . ولهذا فإن أكثر العلماء فى صدور تصانيهم : ، ولم آل جهدا فى كذا ، لأن النفوس الشريفة العالية لا تترك من فعل الخير وأخذ من تكسبه إلا ما عز تناوله عليها وصعب اكتسابه

وأما ما ذكرتم . ن امر أبى محلى وسيرته وما كان تسلط عليه ، أما ما كان من استنهاضكم اليه المرة بعد المرة وتكررت فى ذلك اليكم انرسل حتى اجبت اليه فلا نحتاج فيه الى اقامة حجة غير كونه خرج عن الجماعة وقد قال صلى الله عليه وسلم : ، من اراد ان يشق عمامكم فافقلوه كائنا من كان ، والا فلو دخل الملك من بابه وبابيه أهل الحل والعقد واخذ ذلك بوسائله مثل بيعة جدنا المرحوم التى تطافرت عليها علماء المغرب وأهل الدين المشاهير ، فلو كان وصل الى ذلك بفعل هذه الوسائل لم يجب حربه ولا القيام عليه بما ذكرتم ، لأن السلطان لا ينزل بالقسق والجور ، والا فإن الصحابة فى زمن يزيد بن معاوية لا يحصى عددهم ، وما تصدى أحد للقيام عليه ولا قال بعزله ، والا فانهم لا يقيمون على الضلالة ولو نشروا بالمنشير ، وأما ابو محلى فبمجرد قيامه يجب عليك وعلى غيرك اعانتا عليه لانك فى بيتنا ، وهى لازمة لك ، فالطاعة واجبة عليك ، واعلم ايضا ان والدك أفضل منك بدليل : أبأؤكم خبر من ابائكم الى يوم القيامة ، وكان عمنا مولاي عبد الملك رحمه الله واسمحه على ما كان عليه واشتهر به

اعلانا ، وكان والدك في دولة وبعته ووفد عليه ولم يستكف من ذلك
ولا ظهر منه ما يخالف السلطنة ولا أنكر ولا عرض بما يسوء سلطان
الوقت ولا سمع ذلك منه ، فان كان راضيا بفعله فهو مثله ، وإن لم يرض
فما وجه سكوته وانوفادة عليه ؟ وقد تحققت وعلمت ان ولاية أحمد بن
موسى الجزولي كادت تكون قطعية واشهر امرء عند الخاص والعوام حتى
أطبق أهل المغرب على ولايته ، وقد كان على عهد مولاي عبد الله برد الله
صريحه وكان المولى المذكور على ما كان عليه واشهر عنه ، وما برح الشيخ
المذكور يدعو له ويدوله بالبقاء ويظهر حبه ، وكان المولى المذكور يعزل
ويولى ويقل ، وكان قد شرد منه الى زاوية الشيخ المذكور المراتب
الاندلسي ، وولد آصاك وامثالهم ، وكان الشيخ المذكور يقدم للثغاعة فيشفع
ولا يتعقب ولا يبحث عما وراء ذلك ياقى على عهده ومودته ، وكان المولى
المذكور بعث لابن حسين بسد دابة فما فتحها حتى امره ، ولا استعظم احد
ذلك ولا أكرهه ولا خفنه سببا لفتح الفتة ، وكان قواد المذكور مثل :
وزيره ابن شقراء وعبد الكريم بن الشيخ وعبد الكريم بن مؤمن العليش
والهبطي والزرهموي وعبد الصادق بن ملوك وغيرهم ممن لم يحضرني
ذكرهم ، بعد عصرهم ، قد انفسوا في شرب الخمر واتخاذ القيان وبسط
الحرير وغير ذلك من آلات الفضة والذهب ، وكان في عصره أحمد بن
موسى المذكور وابن حين ومحمد الشرقي وابو عمرو القسطلي ومحمد
ابن ابراهيم التامارني والنبطلي وغير هؤلاء من المشايخ واهل الدين الذين
لا يسع من يدعى هذه الطريقة التقدم عليهم ولا اكتساب الفضيلة دونهم
فاحسنوا السيرة ، ولا تعرضوا للسلطنة ولا سمع منهم ما يقدح في ولاية
الامر وقادة الاجناد ممن ذكر الذين كان الملك يدور عليهم ويرجع في
تدبيره اليهم ، ومثل من ذكر من الاولياء كان علامة الزمان وواحد
وفته شيخ مشايخ افرقية وبعض أهل المغرب عبد العزيز القسطليني الشيخ
الملكومي صاحب «الآيات البينات» قد كان من سكان تونس ، وكان
ملوك تونس ومن انضاف اليهم على الفساد انذى لا يتحصر واشتهر امرهم

حتى عرفوا به في المشارق والمغارب ، ولم يرح الشيخ المذكور من بينهم ولا تعدى لتغير التكر والامر بالمعروف حتى قبضه الله اليه
واما ما ذكرتم من ان من اعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جباه يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله هذه حجة عليك لا علينا ، لانى ما سمعت في قتل احد ، يعلم الله ، ولا قتل من قتل الا بأمر القضاة وأهل العلم ان كان .. واعلم انه اذا كان هذا يكون وعيدا في قتل الواحد فما بالك بمن يريد فتح باب الفتنة حتى لا يقف القتل على المئين والآلاف ونهب الاموال وكشف الحرم الى غير ذلك ، اما تعلم ان فتنة أبسى محلى قد هلك بسببها من النفوس والاموال ما لا يحصى عدده ولا يستوفى نهايته كتاب ، وكان كل ذلك على رقة لانه هو المنسب الاول الفاتح أبواب الفتنة لانه كان يقتل كل من اتى اليها حتى قتل بسببه في يوم واحد بمكان واحد خمسمائة قتل ، ولولا ابو علي ما قتلوا وأعظم في حرمة النفوس من هذا الذي قلت قوله تعالى : « كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحباها فكأنما أحيا الناس جميعا »

وليس في قول الموافق ما يحتاج به على السلطان وانما هو في أصحاب الخطط على الترتيب الذي كان على عهده من أصحاب الشرط ، كصاحب الشرطة الذي ينفذ أحكام القاضي ، وصاحب شرطة السوق الذي ينفذ الأحكام عن قاضي الحضرة ، وغير ذلك من الولايات

وولاية ابي محلى لا تعد ولاية حتى يعتبر عزله ، وما عند المسواق وغيره وقفنا عليه وعرفناه وتلقيناه عن الاشياخ الجللة وعرفنا ما عند الشافعية والحنفية ودرسناه المرة بعد المرة ، ولست ممن يطبق عليه قوله : أشقى الناس عالم لم ينفعه الله بعلمه ، ولكن لما ذا تحتاج بقول الموافق الغرضك وتجعله حجة ولم تجنا نحن فيما كتب اليك به في يونس اليوسى ، وقفنا لك قال صلى الله عليه وسلم : « الحرم لا يجير عاصيا » قال الامي : وهذا يحتاج به على أهل الزوايا ، واضربت عن الجواب وليس ذلك من

أدب الجدل ، ولكن أخبرنا عن الوجه الذي منعت به يونس اليوسى من
الشرع فان متاعنا عنده ، واما اهلنا فى داره الى يوم الواقعة ، وزرب فى
ذمته للمسلمين من الاموال واندماء ما علمت ، فان كنت ممن يريد العدل
فهلا عدلت فيه ، فحينئذ تعلم انك لا تبيع جهنم ولا تذهب بك النفس
مذهبها ، لا جرم حينئذ نكون عند ما تريد ومع هذا لما أسكننا زوجته
وكنت لنا فيها سرخانها ساعة وصول خطابك من غير توقف ، فلو كنت غاديا
لعبت بها عنه هو باماء اهلى وأهل دارى ، على انى ما رددت شفاعتك منذ
عرفتك ، بعثت لى على ابراهيم بن يعزى فسرخان لغرضك ، على انه ترتب
لى ذمته ما يتلف على خمسين الف اوقية ، وذلك المال انما يقال له :
بيت مال المسلمين ، وانما كان يجب تخييده فى السجن ، وأهل الحصن
أخرجناهم منه عن آخرهم وأنفذتم كتابكم بردهم فامرنا بردهم عن آخرهم ،
وابن يعقوب اوزال حاكم البلد وشبه الخليفة تركناه على دارنا وحرك من
غير اذتنا ولا مسورتنا ، وبغنا مكانه فانفذت الكتاب فيه فرد لمكانه ، ما
هو الامر الذى سافرت كبتك فيه ولا اسرعنا فيه خفافا ؟ واما مسألة أهل
آرمور فلما جاء كتابكم عزلنا صاحبه وسرخانا من كان عنده ورددنا الخيل ،
وقضية الحناشة : الناس فى شأنهم بالاجتهاد ، وقضية العرب : اعلم ان العرب
قد افسدوا الارض واستطالوا سواء هذه البلاد والغرب ، والذى يليق بهم
ما أفتى به سجنون فى عرب افرقية والمغرب ، ولو طالبناهم بمجرد الحشر
مدة هذه الفتنة فى المغرب لاتى ذلك على اموالهم ، والناس قد خرجوا عن
أطوارهم ، واحبوا الفتن طلبا للراحة ، وانظر كتاب «الافادة» كذا للقاضى
واستطالهم فيه عليه فى قضية شرعية مشروحة فى رسمها القديم ، على انهم
أضعف الناس قلوبا ، انظر ما صدر منهم فما بالك بالعرب الذين خرجوا
عن الطاعة ، وتساوى الشيخ والخصير فى ذلك ، فان كنت تصنى لمقاتلتهم
واسعاف شهواتهم والتعرض للسلطان دونهم فهذا نفس خراب العالم ،

وطالع كتاب صاحبنا من عند الرحامة وما صدر منهم خديعكم ، ورأيت أن أقدم لك مقدمة أمام هذا ، وإن كانت أدبية قيل لابن الرومي ، وهو على ابن العباس ، لم لم تقل كقول ابن المعتز :

كان آذربوتنا والشمس فيه عاليه مداهن من ذهب فيها بقايا عاليه
فأجاب بأن قال : « لا يقدر أن يقول هو مثل قولي في وصف الرقافة :
ما أنس لا أنس حجازا مردت به بدحو الرقافة وشك الملح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كسرة وبين رؤيتها صورة كالقمر
الا بمقدار ما تداح دائرة في صفحة الماء يرمى فيه بالحجر ،
وقال : « كل منا وصف أوائى يته « ورب البيت أعلم بما فيه ،
« واهل مكة أدري بشعابها » والصيرفي أعرف بنقد الديار ، وقصة الخضر
والكليم صلوات الله على نبينا وعليهم فيها كفاية لمن يعتبر في حرفة السفينة
وقته السلام وافاته الجدار ، والكليم يرد عليه في كل ذلك حتى
أنباء الله بسر ما لم يعلم على أن علم الخضر في علم موسى كحقيقة لقاء في
فلاة ، هكذا قال بعض العلماء ، وقال بعضهم كل منهم على علم خصه الله تعالى به ،
ومن هنا يجوز ابن عربي الخاتمي في بعض كتبه ، وأجاب أن ذلك في
« القصص » أن الولي الذي يتخذه الله ويصطفيه بمحبته يطلعه على علم لم
يطلع عليه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، فقال مشيرنا إلى نفسه :
« أطلنى الله على علم لم يطلع عليه آدم فمن دونه »

وأعلم أن السلطنة لها أسرار لا بد منها وسياسة ينكر ظاهرها ، ولكن
نرجع إلى غرضك ومرادك ، أخيرا : كيف تحب أن يسلك الناس في
العرب ؟ فإن كنت تحب أن يسلك الناس فيهم سلك مولاي عبد الله
فالزمان غير الزمان والأسعار قد طلعت وبلغت النهاية ، والله تعالى قد بعث
أنبياءه وأنزل كتبه بحسب ما يقتضيه الزمان ، وهذا يعرفه من خالط
الشرائع والكتب المنزلة وأخذ العلم من أفواه الرجال ، وأدبته مجالس
العلم ونحن نلخص لكم الكلام على بعض ما أورد الناس في الخارج :
أما ما بنوا عليه فرضه في صدر الإسلام والدول العظام فلا تطيل بذكره

لشهرته ، وأما في المغرب خصوصا ، فالول من قرطه عبد المؤمن بن علي ،
 وجعله على إقطاع الأرض بناء على أن المغرب فتح عنوة ، وأنه ذهب بعض
 العلماء ، ومنهم من يقول : أن السهل فتح عنوة والجبل فتح صلحا ، فإذا
 قرر هذا ، وعلمت أن أهل ذلك العصر قد بدؤوا وانذروا ، وبقي السهل
 كنه أرضا ليست المال ، نعين أن يكون الحراج فيه على ما يرضى صاحب الأرض
 وهو السلطان ، والجبل تعذر معرفة ما كان الصالح عليه ولا يسل إلى
 الوقوف عنده فيرجع به إلى الاجتهاد ، وقد اجتهد سلفنا الكرام رضوان الله
 عليهم في فرضه لأول الدولة الشريفة على حسب وفق أئمة السنة ومشايخ
 أهل العلم والدين في ذلك العهد ، فجرى الأمر على السن القويم إلى أن
 هت عواصف الفتنة لا يام ابن عمنا صاحب الجبل ، وأدالة مولانا الإمام وقبوه
 المرحوم على حواضر المغرب وسهده عند الزحف بالانزال ، وإمندان به
 الفتنة في الجبل إلى أن هلك مع الثغرى في الغزوة الشهيرة ، وجاء الله
 من مولانا المقدس بالجل العاصم للإسلام من عتوان الأهوال ، فقدر رضى
 الله عنه الأشبه حق قدرها ورأى أن المغرب عب تلك الفتنة قد فتر قمه
 لانتهاه عدوان عظيماني : الترك ، وعدو الدين الطاغية ، فاضطر رحمه الله
 إلى الاستكثار من الاجتاد لتقاومة العدو والذب عن الدين وحماية نفوس
 للإسلام ، فدعا تضاعف الاجتاد إلى تضاعف العطاء ، وتضاعف العطاء إلى
 تضاعف الحراج ، وتضاعف الحراج إلى الاجحاف بالرعية ، والاجحاف
 بالرعية أمر يسكتف رضى الله عنه من ارتكابه ولا يرضاه في سيمرة
 عدله طول أيامه ، فلم يمكن له حبشة إلا أن أمن النفس رحمه الله نسي
 أصل الحراج فوجد بين السعر الذي نسي عليه في قيمة الزرع والسمين
 والكبس الذي تعطيه الرعية منذ زمن الفرض ، وبين سعر الوقت أضاعافا ،
 فحينئذ تجرى رحمه الله العدل فخير الرعية بين دفع كل شيء بوجهه ،
 ودفع ما يساويه بسعر الوقت ، فاختاروا السعر مخافة أن يطلع إلى ما هو
 أكبر ، فأجابهم إليه رضى الله عنه ، وعرف الناس الحق فلم ينكروه أحد

من أهل الدين ، ولا من أهل السياسة ، ليت شعري لو طلبنا نحن الرعية
بسر الوقت الذي طلع اليوم الى أضواء مضاعفة ماذا نقولون ، وقد اتقدتم
علينا ما هو أخف من ذلك . والحاصل راجعوا رضى الله عنكم ما عند الامام
المالوردي في الاحكام السلطانية في ضرب الخراج فقص استوفى
الكلام في ذلك

وأما ما تفضيه من العجب لمطل أجوبتنا عنك فنحن نراجع أقل
منك ، ولكن كتابك أكد مناه على قصة أهل آزموور فافئدنا من أخرج
الذى كان به واقصاه عنه وشرده من كان عنده فتوقف الجواب حتى رجع
الحديم فحينئذ أجبتكم بما وصلكم ، وتسجيل الاجوبة وبطلوها فاعلم ان
الذى يقتضى ذلك أمور ، منها أن يكون الامر الذى ورد الخطاب فيه منكم
ما سمعت به ولا يلقى فتوجه للبحث عنه والفحص عن أسبابه فربما أوجب
ذلك البطء بحسب الاماكن والبلدان فيكون جوابنا على أساس وهيان ،
وان كان عندنا خبر ما ورد فيه خطابكم فالجواب لا يتأخر ، وقد وقع هذا
منا غير مرة ، وكون تعطيله منشاء ما من الله به علينا من رجوعنا الى
سرير ملكنا واجتماعنا بسرنا آمين ، اعلم ان أهل هذا المغرب لما تسالوا
على وخرجت الى المشرق والنفيت بالترك والاروام وجالسوني وجالستهم
وخاطبوني وخاطبتهم ، فمنهم مشافهة ومنهم مراسلة ، وكنت أيام مقامي في أرضهم
كقمامي على سرير ملكي ، لان كبيرهم وصغيرهم ورئيسهم ومرؤوسهم
كان يتجمع فضلى ويسد كفه رغبة في نعمتي ، وواسيت الجميع عطاء مترفا
مع قلة الزاد والذخيرة ، وترفت عن مواساة الاماثل والاكابر من العجم
والعرب ، ولا ركنت لاحد ، بل تجودت بما قدرت عليه من الاخيسة ،
حتى جعلت محلة برماتها وخيلها ، قرأت على العجم بالرغبة ، وبسطوا
أكف الضراعة في المقام عندهم والدخول في جملةهم ، وعرضوا على
الاطاعات السنية ، والبلادات الملوكية بلطف مقال وادب خطاب ، حتى قال
لى القبطان مراد رئيس المجاهدين : « وما مثلك يكون مع العرب ها نحن
نخدمك باموالنا وأنفسنا ، وبمالنا من السفن حيث اردت وأحييت ، وما

انفصلت عنهم حتى كتبت لهم بخطي : اني أحمل أهلي وحاشيتي وأرجع اليهم الا ان تمكن لي الدخول في اللك والغلبة على البلاد أو بعضها ، وفقلت من عندهم ولم يتعلق بتوب عفاي ما يشيه معهم ولا مع العرب ، ولا كان لاحد على منة ولا نعمة الا فضل الله سبحانه ، وكان فضل الله علينا عظيما .

ثم اني دخلت سجلماسة ، على رغم أنف أهلها ووالبها ، ومنها دخلت السوس ، وجعلت ولي الله العارف به أبا محمد عبد الله بن المارث واسطة بيني وبين أخي حتى اجتمعت بأهلي ومالي ، نسعث الى الترك بأحد بلكباشات اسمه مصطفى صولجي الى السوس راغبين في الجاز الوعد ، وجئحت للمسير اليهم قرأيت الأهل والاتباع قد عظم الأمر عليهم واستعظموا الخروج ، فاسعفت رغبتهم في المقام بالغرب ، وشبعت الرسول قافلا الى قومه من سجلماسة عند الدخول الثاني لها ومغالية أهلها عليها ، وعززته برسول من عندي اليهم بتحف وأموال ، ورد بها عليهم مع رسوبهم ، ثم اني اقتبحت مراكنش على أهل فارس على ككرة عددهم وعددهم وقتلي ، ففتح الله ، ثم خرجت الى السوس مرة اخرى وأوقعت بولد مولاي أحمد الشريف وجموع مراكنش ، وقد نصبوا عليه لانهم شعبة جده ، ففضضته على رغبتهم ، ونارلته بالسهل والخزن حتى امكن الله منه ، وحكم بيني وبينه ، ثم نجم التوى أبو محلي وغلبت على الرأي ، وقد قال من هو أفضل مني مولانا على كرم الله وجهه : لا رأي لمن لا بطاع ، ودخل هذه البلاد وخرجت أنا الى السوس ريثما تجتمع قائلنا في المكان السدي كان اجتماعهم فيه الى أن بلغتهم ، وقصد اليهم أبو محلي فقاتلوه ورحسل عنهم بعد أن أنبخوا فيه بالقتل ، ثم وافيتهم فكان الحرب بيننا سجلا ، فهل سمعتم خلال هذه الاحوال اني احتجت الى أحد فيما قل أو جل ؟ وهذا كله بحيث لا يخفى عليك ، اللهم الا ان تعدوا الوفاة التي وفدنا عليك من قبل الأسطرار والاحتياج فلا ادري ، على أي ما قصدتك لطلب دنيا ، لاني كنت أسمع ما انت عليه من مائة الدين والصلاح والاقبال على طاعة

الله والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا غرو أن من كان
هذا وصفه كان جديراً بأن يقصد للدعاء ولاصلاح القلب ، ولا شك أننا
نزلنا دارك وحللتنا بمكانك ، ولما وقع الاجتماع بك جرت المذاكرة في
أبي محلي وغيره حتى كبت الكتاب الذي علمنا عليه ، وهما هو بخط يدك ،
فإن نصيبنا بعض ما فيه ولا فعلنا فآخريتنا به ، تستدركه ، وهذه مراكش
التي ذكرتم قد كنت فيها كما ذكرتم ، ووقفت على عبد المؤمن بن ساسي
وعدته مرة أخرى في مرضه ، وعمل قصده لطلب دنيا أو عرفه لأجلها ؟
ومحمد بن أبي عمرو لما وقفت على المدرسة التي من بناء مولاي عبد الله
وقفت عليه في داره ، وكل ذلك إنما فعله تأكيداً للمحبة وزيادة في
المعرفة بالله ، ولو علمت أن ذلك يعد عيباً ويحق أنه نوع من الاحتياج
ما كنت والله لأقف على أحد وثو أنه يملكني الدنيا بخلافها ، لأن
الحبر والنسريد انماغل المختار ، فهو أولى بالاضطرار إليه ، وأما سريسي
فما نروع فقد حتى يأمس ، وأما من كان بالدار التي ذكرتم فإيمانهم أهلي
ومثروك أعصابي . وهذه الدار التي ذكرتم فها نحن ننقل عنها إلى بعض
أبلاذ الغربية البحرية كما قلت لك ذلك مشافهة ساعة قلت لي ببعضي
للإشراف بناء بالجليل لوقت ما ، وحكيك ذلك عن والدك ، وأما ما أخبركم
به القاضي أيام ورودى إلى السوس وقت بلغسي كتابكم الذي نصه : قد
اختصت الناس وفدت النبات وتعبت المطامع وأردنا تدبيركم ، لأن الملوك
أهل التدبير والمراد رجوعنا لأوكادنا من غير وصعة تلحق الجانبين ،
فكلما حمل فهو غنى والزمه إلى الآن إلا ما طرأ علينا فيه النسيان ،
فذكرونا به فانا لا نخرج عنه . وأما بين المصحف والتي حلفت فيه للقائد
عبد الصادق فلا والله ما حلفت فيه ولا أحلف لأحد إلى لقاء الله ، أما
عمت أنني حضرت بيعة الشيخ المأمون صاحب العرب سامحه الله ، وحضر
(أ) لاد السلطان واستحلفهم له إلا أننا رضي الله عنه ، فإنه قال : «فلان لا يحلف
لا يحتاج إليه فيما تأمر به . ونفعله ، وعظم ذلك على اخواني ، وظهرت في
وجوههم لاجله الكراهية ، ولكن الذي قلت لعبد الصادق أحلف للمراجل فاني

أوفى لك به ، ولا زلت على ذلك لأن الذى كنت تقول فى ذلك الوقت :
 أخاف أن تقع فى أهل مراكنش والاكاير ونحوهم مثل حكومة عبد القادر
 ونحوها . أما أهل مراكنش فما تعرضنا لاحد منهم حتى تركنا متاعنا لاجلكم ،
 كولد المولوع وغيره ، وهذا الميدان والتقراء فابث من رضىت ينادى فيهم ،
 من له حق علينا تصغه منه ومن خدامى أيضا ، وإن كنت سمعت قضية
 منصور المكارى ، فالمكارى نزل أهلنا فى خيمته عند وقعة رأس العيين
 فلما أرادوا الطلوع الى الجبل تركوا أكر مالهم فى خيمته مع بعض الخدم
 خوفا من غائمة البربر لما كان وقع منهم لأهل بابا أبى فارس فأخذ ساططا
 من ذهب يزيد على ستين ألف أوقية ، وكان أسام أبى حسون معه وفى
 جملته حتى مات القائم فبذل حجه بأشجار عشرين ألفا والباقي حتى يؤديه
 على سعة ، وطلب منا أن نعمل ويتولى بعض الخطط لينفع ويجمع بعض
 ذلك فصرفناه ، حتى إذا جاء أبو محلى ووقع ما وقع طالبناه بمتاعنا وحبو
 لا يسعه انكاره ، وهكذا عبد الكريم الذى فى زاويناك بنفسه يعلم أن
 اخوته أخذوا لى سلعة فى وسط حلتهم وأنا بين بيوتهم يزيد على خمسين
 ألفا ، وأخذوا الابل ، وهاتجن سكتنا عنهم ولا طالبناهم بها ، وأبضا قال لك
 انظر ما فعل باخوتى وصرت تكاتبنا وانت لا علم عندك بأصل المسألة ،
 وأما الاموال فإن الله سبحانه قد وسع علينا من فضله وعندنا ما يكفى
 الخامس والسادس من الولد ، وعرقنا الناس وعرقونا وعاملناهم وعاملونا ،
 ولو أردت خمسمائة ألف مثقال من أصحاب أفلامتك ، أو من أصحاب الانجليز
 وكبت اليهم فى ذلك ما تأنوا فى بيته ، ولا لاذوا فيه بمعذرة ، وقد كفانا
 الله به والحمد لله على ذلك .

واعلم ان الفضل فىك جميل ولولا ذلك ما أعطيتك خمسة آلاف مثقال ،
 وسمحت بالمال الذى حمل اليكم ابن عبد الواسع أولا وسلعة السفن أخيرا ،
 وبهذا كله تستدل على صفاء السريرة وصالح النية ، والله سبحانه يعلم ذلك ،
 وأما الامتناع من عدم الأنة القول وحسن الخطاب ، فكما قال تعالى :
 « وقولوا للناس حسنا » وانك لم تبلغ ولو نصف ما خاطب به الائمة

رضوان الله عليهم أهل زمانهم انكالا على علمنا به ، وحسبى نصيح الفضيل
ابن عياض وسفيان ومالك رضوان الله عليهم فهذه المسألة حسبي في الجواب
منك انتهى ما وقفنا عليه من هذه الرسالة وهي دالة على براعة الرجل فقها
وأديبا وكمال مروءة وعلو همة رحمه الله وغفر ذنوبه

❦

استيلاء نصارى الاصبيبول على المعمورة ونهوض ابني عبد الله العياشي
لجهادهم وانتفاض أسلمس سلا على الأساطين وبيان رحمه الله

❦

قد قدمنا في أخبار الوطاسيين ما كان من استيلاء البرنقال على المعمورة
المسماة اليوم بالهدية ومقامهم بها سنين فلال ثم جلائهم عنها ، ثم لما
استولى الاصبيبول بخذله الله في هذه المدة على العرائش كما مر
طمعت نفسه الى الاستيلاء على غيرها وتعزيزها باخها ، فرأى أن الهدية
أقرب اليها فبعث اليها الطاغية فيليس الثالث من جزيرة قادس تسعين
مركبا حربية فانتهوا اليها واستولوا عليها من غير قتال لفساد المساحين
الذين كانوا بها عنها هكذا في توازيح الفرنج .

وقال شارح . الزهرة . كان نزول النصارى بعيسى الخلق سنة
اثنين وعشرين وألف وقيل سنة ثلاث وعشرين بعدها وقيل غير ذلك ،
وكان عدو الله الاصبيبول أراد أن يضمها الى العرائش لينضبط له ما بينهما
من السواحل وتقوى عساكره بهما فخبى الله ظنه ، ولقي من أهل الاسلام
عرق القرية ، وكان ابو عبد الله العياشي بعد رجوعه من آزموذ وسلامته
من اغتيال قائد زيدان دخل سلا في نحو أربعين رجلا ودار ضريح شيخه
أبي محمد بن حسن وبات عنده ، فجاءه أهل سلا وذكروا له ما هم فيه
من الخوف من نصارى المعمورة ، وأن مسارحهم قد امتدت الى الغاية
وأن النصارى ألفان من الرماة سوى الفرسان فأمرهم بالتهيب . انهم .
وفي . نشر الثاني . ما نصه : وفي أواخر جمادى الثانية سنة ثلاث

وعشرين وألف أخذ الصاري المهدية فكتب أهل سلا إلى السلطان زيدان
فبعث إليهم أبا عبد الله العياشي أنذرى كان مقدما بوكالة على الجهاد بدكالة ،
وهو يقضى أن مجيء العياشي إلى سلا كان بذن السلطان لا قرارا منه ،
والاوان أصبح اللهم الا أن يكون مجيئه قارا كان بعد هذا التاريخ والله أعلم .

وأمر أبو عبد الله العياشي أهل سلا بالتهيء للغزو واتخاذ العدة فلم
يجد عندهم الا نحو المائتين منها ، وكانت السنون والمضى قد أضعفها ، فحفظهم
على الزيادة والاستكثار منها ، فكان مبلغ عدتهم بما زادوه زهاء أربعمائة ،
ثم نهض بهم إلى المعصورة فصادف بها من الصاري عرة فكانت بينه وبينهم
حرب قريبا إلى أن غربت الشمس ، فقتل من الصاري زهاء أربعمائة ،
ومن المسلمين مائتان وسبعون ، وهذه أول غزوة أوقعها في أرض الغرب
بعد صدوره من ثغر آرمور ، ومنها أقصرت الصاري عن الخروج إلى
الغاية ، وصافى بهم الحال .

ثم أن السلطان زيدان لما بلغه اجتماع الناس على سيدي محمد
العياشي بسلا وسلامته من غدره قائد السنوسى بعث إلى قائده على عسكر
الاندلس بقصة سلا المعروف بالزعرورى ، وأمره باغتياله والقبض عليه ،
ففاوض الزعرورى أشياخ الاندلس فى ذلك ، فاتفق رأيهم على أن يكون
مع العياشى جماعة منهم عينا عليه ، وطليعة على يده ، واستخاروا لما هو عازم
عليه ، وما هو طالب له ، فلزمه بعضهم . وشعر العياشى بذلك فانقبض
عن الجهاد ولزم بينه .

ثم أن الله أوقع الفرة بين السلطان زيدان وبين أهل الاندلس ،
وذلك أن السلطان المذكور كان قد بعث قبل ذلك إلى القائد الزعرورى
أن يجهز إلى درعة أربعمائة من أندلس سلا ، فجهزهم إليها وطالت غيبتهم
بها ، ففر أكثرهم وتفرقت قلوبهم عن الزعرورى وسلطانه ، فكان زيدان
بعث إلى أهل الاندلس بسلا بتجديد البعث إلى درعة قايون الانقياد إليه
فى ذلك وكرهوه وأزعموا على خلع طاعته ، ثم وشوا إليه بقائده الزعرورى
فبعث زيدان بالقبض عليه فقبض عليه ونهب أهل الاندلس داره ، وكتبوا

الى السلطان بذلك مظهرين طاعته مكيدة وغفلة فبعث اليهم مولاه وفاتده المملوك
عجيبا فكث بين اظهرهم مدة فلم يعاؤوا به وصاروا يهزأون به ، ثم عدوا
عليه فقتلوه فظهر منهم شق العصا على السلطان زيدان ، وأظلم الجو بهمه
وبينهم ، وبقي أهل سلا قوضى لا والى عليهم ، وكسر النهب ، وامدت
أيدي اللصوص الى اقال والحريم ، وسيدى محمد العياشى ساكت لا يتكلم ،
واستمر الحال على ذلك الى أن كان من أمره ما تذكره بعد هذا ان شاء الله .

انعطاف الى خبر عبد الله بن الشيخ بفاس والثوار القائمين بها

وما تخلل ذلك

قد قدمنا ما كان من قدوم السلطان زيدان الى فاس أواسط سنة
تسع عشرة وألف واستلائه عليها ثم خروجه عنها واعراضه عنها وعن
أعمالها الى آخر دولة ، وكان عبد الله بن الشيخ حباة أبيه الشيخ تحت أمره
يصنى اليه ولا يقطع أمرا دونه ، وقيل انه خرج عن طاعته سنة عشرين وألفا
وما قتل أبوه بلاد الهبط كما مر امتبه عبد الله هذا بفاس وما انضاف اليها على
وهي وفصل ربيع ، وكان غالب جنده من شرقا ، وشرقا هؤلاء هم عرب
بادية تلمسان وما انضاف اليها ، وسموا بذلك لانهم في ناحية اشرق من
المغرب الأقصى ، فأهل تلمسان وأعمالها يسمون أهل المغرب الأقصى
مغاربة ، وأهل المغرب الأقصى يسمون أهل تلمسان وأعمالها مشارقة ،
لكن العامة يلحنون في هذه التسمية فيقولون شرقا ، فكان غالب جنده
عبد الله من هؤلاء العرب ومن انضم اليهم فهم حماة وأنصاره وبهم كان
يعتصم ، حتى أعطاهم أحنة الناس ودورهم ، فكان الرجل من أهل فاس
يأتى بستانه فيجد الاعرابي يخيمته في وسطه فيقول له : أعصايه السلطان ،
ومدوا أيديهم الى حريم الناس ونهوا الاسواق وحملوا بالفساد
وأظهروا السكر في الشراقات ، واتحموا على الناس دورهم ، حتى أن
امراة كانت تصنع خليعة وولدها رضع عندها فافتحهم عليها الدار أحد

شراكة فهربت المرأة وأغفلت عنها مشربة لها فلم يقدر لها على شيء ،
فراودها على النزول فأبت ، فقال لها : « ان لم تنزلي رميت الولد في
الطنجير » فتعادت على الامتناع فرمى به فيه ، فما هو الا أن رأته ولدها
في وسط الطنجير صاحت وألقت بنفسها عليه ، تلذقت رقبتهما وماتت ،
فغاض الناس ذلك وأعظموه .

وقام رجل منهم يقال له أبو الربيع سليمان بن محمد الشريف
الزرهوني محتسبا على شرافة ، واعصوب عليه كثير من العامة ، وقاموا
بنصرته ، فقتل شرافة والتلمسانيين بفاس حيث وجدوا وحكم السيف فسي
رقابهم ونفاهم عن فاس ، وحماها من اذائهم وطهرها من رجسهم ،
فاستحسن الناس أمره واذعنوا اليه .

قال في « المرأة » : وفي يوم الجمعة الحادي والعشرين من ربيع
الاول ، يعني سنة عشرين و الف ثار بفاس الشريف أبو الربيع سليمان
ابن محمد الزرهوني ، وعنده الفقيه أبو عبد الله محمد اللمطي المعروف
بالربوع ، ونجمهما أهل فاس بأجمعهم ، وأخرجوا من كان بها من جيش
السلطان وقتلوا كثيرا منهم وحرقت في ذلك خطوط آلت بمسد سنين الى
انقطاع الملك بفاس وبقي الناس موزى الى الآن ، اه كلام « المرأة » .

وكان ابتداء أمر شرافة واشتداد شوكتهم سنة ست عشرة و الف كانوا
ادالة على أهل فاس فاذلن بقصة الطائفة وبقصة اخرى وبعض الفساد
وقرب باب المسافرين ، الى ان قام عليهم الشريف أبو الربيع في التاريخ
المتقدم ، وكان عبد الله بن الشيخ يوم ثورة أبي الربيع وفكك شرافة
غائبا في سلا فلما بلغه الخبر قدم ورام ان يصلح بين أهل فاس وبين شرافة
ورادهم على ذلك فقالوا : « لا . لا . فسميت تلك السنة لا لا . ثم
أمر أبو الربيع أهل فاس بشراء المدة والتهيب لقتال شرافة وخرج اليهم
فاقتلوا خارج باب الجيسة فانهزمت شرافة ، واستب امر أبي الربيع وسكت
أحوال المدينة وأمن الناس أمانا لم يبعد من زمان السلطان الغالب بالله
وفي يوم الاربعاء رابع عشر جمادى الثانية سنة عشرين و الف كانت

وقعة الترب ، موضع خارج باب الفتوح ، وسببها ان اهل فاس استغاث بهم
الملاقاة واستصرخوهم على شرافة مكيدة وحيلة فخرجوا في يوم شديد
الرياح وكمن لهم شرافة بخولان واغادروا عليهم بئنة ، فانهزم الناس وقتل من
اهل فاس نحو الالفين .

وفي « نشر الثاني » سبعمائة فقط ، قال وجلهم هلك بالعطش ،
وغلقت الابواب واضطربت المدينة ، وهاج الشر بسبب ذلك مدة ، ثم
خرج اهل فاس مرة اخرى لقتال عبد الله بن الشيخ فهزموه واسروه ،
وبقي في ايديهم فعموا عن قتله واطلقوه ، وذهبوا خلفه حتى دخل داره من
فاس الجديد

ولما قتل ابو الشيخ سنة اثنين وعشرين كما مر ، وانصل خرمقله
بابه عبد الله عزم على الاخذ بثاره من قاتليه اولاد ابي الليف ، وازمع السير
اليهم ، ووافقه على ذلك الشريف ابو الربيع والفقير المربوع واصحابهما
وامتعت العامة من الذهاب معهم ، لان الشيخ لم يبق له في نفوس المسلمين
مودة حيث باع المراثي للتصاري ، فاجتمعت العامة بجوامع القرويين وقالوا :
« لا نقبل سليمان ولا المربوع ، وحاصوا جعة حمر الوحش ، وانخذلوا
رؤساء آخرين فوقع بسبب ذلك شر عظيم ادى الى قتل الشريف مولاي ادريس
ابن أحمد الجوطي المراني التونسي ، وسبب ذلك ان منادى ابي الربيع
مر بنادى في السوق باستفاد الناس مع عبد الله بن الشيخ ، فقام اليه
الشريف مولاي ادريس وضربه بعصا وبه ، فاقتل ابو الربيع ومن معه
واقحموا على مولاي ادريس دار القبطون وقتلوه على خضتها ، ولما كان
صباح القبر من الغد قام ولد مولاي ادريس و شكوا هضيمته لعلماء فاس ،
فامروه بالبصر . ثم النف عليه اهل العدو وفصدوا دار ابي الربيع وناوشوه
الحرب ، فرجموا مفلولين وقتل بعضهم والامر لله وحده ، ووقع الغلاء
حتى بيع القمح باوقيين وربع للمد ، وكثرت الاموات ، حتى ان صاحب
المارستان أحصى من الاموات من عيد الاضحى من سنة اثنين وعشرين
وألف الى ربيع النبوي من السنة بعدها أربعة آلاف وستمائة ، وخربت

أنطراف المدينة وحلت الداسر ، ولم يبق بلمطة الا النوحوش ، وكثر الشعب في القوافل

ولما كان المحرم فاتح سنة ست وعشرين وألف قبض الشريف أبو الربيع على أربعة من كبار شرافة ثم قتلهم ، فوجم لها اللطفيون وحاق الناس على المدينة ، ونوقموا بالشر وعظم الرعب في القلوب حتى وقعت بسبب ذلك الهزيمة في كل مسجد من مساجد الحطبة بقلس ، وذلك انه كان امام جامع القرويين ذات يوم يخطب ، والناس في صحن المسجد ، فوقع سيوف من المطر غزير ، فابتدر من في الصحن الدخول الى تحت السقف ، فظن الناس ان ابا الربيع قد قصده شرافة فانهزموا وخرجوا من المسجد لا يلاوي أحدا على أحد ، فبلغ الخبر الى اهل جامع الاندلس ففقدوا بهيم ، وبلغ الخبر الى اهل الطائفة فكان كذلك ، وتتابعت الهزائم بالمساجد

وفي يوم السبت الخامس من مفر سنة ست وعشرين وألف قتل الشريف ابو الربيع غدرا في جازة رجل لغني خرج اليها ، فقتله الفقيه المربوع ، وقتل ابيه وابناء عمه وسه من اصحابه ، ودفن مع والده بمسجد الجرف ، ونا قتل ابو الربيع بقيت فاس في يد المربوع واعصوب عليه اللطفيون ، واشتدت شوكة ، ثم قدم جمع من عشيرة ابي الربيع من زرهون وحاولوا الفتك بالمربوع فمطعن بهم ووقع بينه وبينهم قتال عظيم فيه نحو مائة وثلاثين رجلا وسلم المربوع منها

وقال صاحب معتمد الراوى ، لما قتل ابو الربيع الزرهوني قام اخوه مولاي أحمد يطلب بذاره وساق معه نحو أربع مائة من الزراينة واقتحم بهم فاس ، وقالوا الفقيه المربوع وشيعته من اللطفيين ، قاتل اهل فاس على المربوع وقاتلوا معه الشريف يدا واحدة ، فانهزم الشريف وقتل جل من معه ، وكاد يقبض عليه باليد ، ففر الى روضة سيدي أحمد الشاوي ، ومعه نحو الثمانين من اصحابه ، فقبضهم الفقيه المربوع في جمع عظيم من اللطفيين واقتحم عليهم الروضة ففر الزراينة الى بيوت دار الشيخ فهاجم عليهم المربوع بجند وقبضهم أجمعين . ثم ان المربوع واللطفيين جاءوا برجل يقال

له عبد الرحمن الحنبل في كان بعد يزدهون فاستقدموه في جمادى الاولى سنة سبع وعشرين واللف وراموا ان يملكوه ويجمعوا عليه ، فانزلوه مع أصحابه في روضة الشيخ ابي الحسن على بن حرزهم ، واتصل الخبر بالقائد أحمد بن عميرة وزير عبد الله بن الشيخ فأتى وقتك بأصحاب الرجل المذكور ، ولجأ هو الى ضريح الشيخ ابن حرزهم فرموه من طاق هالك فقتلوه وسقط ميتا على القبر وبطل امره .

ولما سمع اهل فارس من الفتن وكثرة الحصار وضاق بهم الحال من غارات الاعراب ذهبوا الى عبد الله بن الشيخ بفارس اخذ يد ونصروه وظهروا المحبة له ، وفرح بهم غاية ، وتحالفت العامة والخاصة على نصره والاذعان اليه ، فصفح عنهم وعفا لهم عما سلف ، وبعث وزيره الى المربوع بالامان فلم يأمن ، وخاف على نفسه ، وصمم مع اللمطين على قتل عبد الله ونهبوا له حتى لم تصل العلوات الخمس بالقرويين ، ثم ان القائد حمو بن عمرو وزير عبد الله أمر بان ينادى بالامان لللمطين ، ففر اللمطيون عن المربوع حينئذ حتى لم يبق معه الا قليل ثم بعث اليه عبد الله بسخن وخاتمه أمانا فلم يأمن وفر ليلا الى بني حسن فاخذهم شيخهم سرخان واتي به الى عبد الله فمأ عنه ، وعادت دولة عبد الله الى شباهها ، واستتب امره ونهضت له البلاد ، وذلك في جمادى الاولى سنة سبع وعشرين واللف ، فجمع الجيوش وبعث بعض جنده لحصار تطلوين ، وبعضهم لقبض الاعشار ، وبعث وزيره حمو ابن عمرو مع المربوع لارجين موضع من جبال الزيب ، فصدر المربوع بالوزير وقتله اعتمادا على كلام سمعه من عبد الله فغضب عبد الله واسرها في نفسه ثم في يوم الاثنين ثالث ربيع الثبوى سنة ثمان وعشرين واللف قتل المربوع اللمطي ونهبت داره .

وقال في « نشر الثاني » قتله عبد الله بن الشيخ ، وعلقه على البرج الجديد خارج باب السبع ، ثم انزله ولبت عليه خيله ، ثم بعد ايام وظف عبد الله على اللمطين ثمانين الفا فقتل عليهم امرها فمربوا في كل وجه فاسقط عنهم نصفها ، والله تعالى اعلم .

ثورة محمد بن الشيخ المعروف بزغودة(*) على أخيه عبد الله بن الشيخ
وما وقع في ذلك

❦

قال في شرح زهرة التاريخ : لما رأى أهل بلاد الهبط ما وقع
من افتراق الكلمة وتوقد القتن بايعوا محمد بن الشيخ المعروف بزغودة على
ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه ، وكان الذي قام بدعوته
الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن عيسى بن عبد الرحمن
الادريسي المسمى بالبوتسي المعروف بابن ريسون ، وهي أم جده علي
نزيل تاصروت وبايعوه على الكتاب والسنة وعلى أحياء الحق وإمامة الباطل
فلما بلغ خبره أخاه عبد الله خرج لقتاله ، فالتقى الجمعان بوادي الطين
واقبلوا فانهزم عبد الله وتقدم محمد إلى فاس فدخلها واستولى عليها في
شعبان سنة ثمان وعشرين واللف ، وقبض على بعض عمال عبد الله فقتلهم
واستغنى أموالهم .

وفي آخر شعبان المذكور وقعت الحرب بينهما بمكانة فانهزم
محمد ودخل عبد الله فاساً في مهل رمضان من السنة وظهر العشو عن
الحاص والعام ، ثم قتل أهل فاس قائده ابن شبيب واخذوا حذرهم من عبد
الله ثم وقع قتال بين أهل الطالعة وأهل فاس الجديد ودام أياماً عديدة حتى
اصطلحوا لتاسع رجب من سنة ثمان وعشرين واللف ، ثم إن عبد الله خرج
لقتال أخيه محمد فوقعت المعركة بينهما بوادي بهت فانهزم محمد وفر شريداً
إلى أن قتله ابن عمه كما سيأتي إن شاء الله

وفي يوم الجمعة خامس ذي القعدة من سنة اثنين وثلاثين واللف قتل

(*) في النص المطبوع بفاس لزهرة الحامدي ابن عودة وهو قريب التصحيف بزغودة
فليحذر اه وقد ورد وصف ابن عودة بهذا اللفظ في تقييد خطي في تاريخ الدولة السعدية
منسوب لسيدى عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي فظهر أن زغودة مجرد تصحيف .

الفقيه العالم القاضي ابو القاسم بن ابي التميم بعد ان نزل من صلاة الجمعة بفاس الجديد فقلته النصوص باب المدرسة الخاتبة ، وفيه نشر الثاني ، هذه اللطيفون بالزربانة لانهم اتهموا باليل الى عبد الله بن الشيخ فوقع بسبب قتلته شر عظيم بين اهل العدوتين من فاس

ولم نزل عبد الله في معالجة اهل فاس فارة يعملون اليه وتسارة ينحرفون عنه لفساد سيرته وقبح طوبته حتى كان قائده مامي الخليل يذهب اندور جهارا وبسطة عبد الله كل يوم على ذلك عشرة آلاف مما يذهب من الناس من غير جريمة ولا ذنب

وقام عليه بمكانة ايضا رجل يقال له الشريف آغا وقام عليه بطاوين للمقدم ابو العباس احمد القيس ولم يبق في يده الا فاس الجديد واما فاس القديم فتارة وتارة كما ذكرنا آغا لانه استولى عليها الشريف ابو الربيع والفقيه الربوع ولما قتل كما ذكرناه آغا قام بفاس محمد بن سليمان النمطي المدعو الافرع وعلى بن عبد الرحمن قتل ابن سليمان وقام احمد بن الانهب مع ابن عبد الرحمن المذكور فقامت فاس وحروب ثم قام الحاج علي سوسان وابن يعلى ونولى ايضا يزور ومعه ابن عبد الله وغيرهم من الثوار

وكانت فاس أيام هؤلاء على فرق وشيع لا يامن الناجر على نفسه الا ان استجار باحد من هؤلاء ووقع من القتل ما اظلم به جو فاس ولئن اقفها العاظر الانفاس ، وحلا اكر المدينة واستولى عليها للخراب ودام الشر بين اهل العدوتين حتى كادت فاس تضمحل ويعقو رسمها

وحدث غير واحد من التفات أنه لما دامت الحرب بين اهل العدوتين ولم يكن لاهل الاندلس غلبة على اللطيفين قال الشيخ ابو زيد عبد الرحمن ابن محمد الفاسي : لا يغلب احد اللطيفين ما داموا مواطنين على قراءة الحزب الكبير الامام الشافعي رضي الله عنه ، وكانت طائفة من اللطيفين يقرأونه كل صباح بزاوية سيدي رضوان اجنوى من عدوة اللطيفين فسمع لذلك اهل عدوة الاندلس فاجتالوا على ابطال قراءة ذلك الحزب بان يعثوا

أحدا فاحال على أولئك الذين يقرأونه فاستضافهم فباتوا عنده جميعا في منزله فلما طلع الفجر أو كاد دغم أن مفتاح اندار قد سقط منه وتلف ولم يزل يعاني فتحها الى أن ظلمت الشمس فخرجوا ، ولم يقرأوا الحزب ذلك اليوم ، وأخبر أهل الاندلس بذلك فحملوا على أهل عدوة المصطفيين فهزموهم وتحكموا فيهم مع أنهم كانوا لم يجدوا اليهم سبيلا قبل ذلك ببركة حـزب الشاذلي رضي الله عنه

وذكر بعضهم أن سبب هذه القصة : ما حكى أن عبد الله بن الشيخ عزم على التنكيل بأهل فاس في بعض غلباته عليهم أيام خروجهم عليه ، فاستنصموا اليه بالصالحين المجذوبين : سيدي جلول بن الحاج ، وسيدي مسعود الشراط ، وكان من الملامية ، فلما وقفا بين يديه قال : « أما وجد أهل فاس شقيعا غير هؤلاء الخرابين في ثيابهما » . فنصب سيدي جلول وقال : « والله لا تصرف فيها - يعني فاسا - أحد اربعين سنة » ، واصرفوا ، فيقال : أن عبد الله بن الشيخ انقلبت معدته فخرج عاثطه من فمه أياما الى أن أئى بالشيخين دسراهما ، فكان أمر فاس كما قال سيدي جلول لم يطمأني رؤوس أعيانها سلطان الى أن جاء الله بالولي الرشيد بن الشريف السجلماسي رحمه الله كما سيأتي ، وإنما كان يتصرف فيها رؤساء أهل فاس الذين يسمونهم السباب ، قال النفرسي : « وهذه حكاية مسجحة سمعها من غير واحد بفاس » ملخصها ما ذكرنا

ولم يزل عبد الله في محاربة أهل فاس القديم من سنة عشرين والـف الى أن توفي يوم الاثنين الثالث والعشرين من شعبان سنة اثنين وثلاثين والـف بسبب مرض اغراه من اسرافه في الخمر وادمانه عليه وكان لا يفارقه ليلا ولا نهارا وينعاطاه سرا وجهارا

قال في شرح « زهرة الشعاربخ » : « وما توفي عبد الله ولي بعده اخوه عبد الملك في شعبان سنة اثنين وثلاثين والـف ولم ير لمقتصرا على ما كان قد صفا لـاخيه الى أن توفي في ذي الحجة سنة ست وثلاثين والـف ومن آثار عبد الله بن الشيخ : ناقة النسي على الحصة الكاتبة أسفل

المثارة التي بوسط صحن جامع القرويين : فانه لم يكن في القديم الا الحصة
المقابلة لها شرفي الجامع المذكور

- غريبة -

قال اليفرنى : حدثني شيخنا الفقيه ابو الحسن على بن أحمد قال :
و كان شيخ شيخنا الفقيه الامام ابو عبد الله محمد بن أحمد ميارة يقول :
ان احمد بن الاشهب الذي تقدم ذكره قبل في الثوار اخبر به النبي صلى الله
عليه وسلم قال : والحديث بذلك مذكور في كتاب الجامع الكبير للحافظ
جلال الدين السيوطي رحمه الله . انه وقت ولد ابن الاشهب رابع جمادى
الاولى سنة خمس واربين و الف فلك به على بن سعد في جامع القرويين
وهو في صلاة العصر ، وقامت سبب ذلك حرب بين اهل الاندلس
واللمطيين ، وانتهت السلع التي بسوق القيسارية وسوق المعطارين وبني
المعطون الدرب الذي باب المعطارين واستمرت الحرب نحو تعابئة أيام
ثم اسطلحوا



ثورقابي زكرياء بن عبد المنعم بالسوس ومغالبته لابي حسون السملالي
المعروف بأبي ديمة على تارودانت



كان الفقيه أبو زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم
الحناحي لما رجع من مراكنش الى السوس حسنا مر بدا له في طلب الملك
وجمع الكلمة لما رأى من افراقها في حواضر المغرب وبواديها
وكان المرابط ابو الحسن على بن محمد بن محمد بن الولي الصالح
ابي العباس أحمد بن موسى السملالي ويقال له ايضا : ابو حسون قد ظهر
بالعق السوسي عند قشل ربيع السلطان زيدان به واستولى على تارودانت
ولاعمالها .

فلما تار الفقيه أبو زكرياء سار الى تارودانت فتلقا عليها وملكها
من يد ابي حسون المذكور وبعد ان وقع بينه وبينه معارك ومقاتلات كبيرة ،

وكان القاضي يارودانت يومئذ الفقيه العالم ابو مهدي عيسى بن عبد الرحمن
المسكناني ، وكان أبو زكرياء قد استشاره فيما عزم عليه فلم يوافق على ذلك
ولم يساعد على مراده لما فيه من الخروج على السلطان بلا موجب ، فغضب
عنه الفقيه ابو زكرياء حتى أمر بقتله غيلة فيما قيل ، فخرج القاضي من
المدينة خائفا يترقب ، وذهب الى مراكش فاستقر بها وعصمه الله منه وكسب
الى أبي زكرياء برسالة يعظه فيها وينهاه عن الخروج على السلطان ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

يقول الفقير للتبديد الحاجة الى رحمة مولاه الفنى به عمن سواه ،
السائل منه التوفيق واللفظ في طعه وماواه ، كاتبه عيسى بن عبد الرحمن
المسكناني عفا الله عنه وسمح له : الحمد لله الذى جعل الصدق باحق وظيفه
الانبياء ، واورثه بعدهم من خلقه فريق العلماء ، والصلاة والسلام على من
أكد امر الصالح وقال : والدين النصيحة فقيل : لمن يارسوك الله ، فقال :
لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعلمتهم ، والرضا عن آله وصحبه الذين
سلكوا سبيله واتهجوا من الشاهج طريقه ، وعن البايعين وتابع البايعين
لهم الى وقوع القصاص بين الخليقة ، وبعد ، فاني لما فقلت بحمد الله بسلامة
وعافية الى جلى وجدت أهلى واولادى ، مستوحشين من البادية وان كانت
محل سلفى ومقر تلادى ، بعد أن القوا الحواضر وطعموا على طاعها فكانوا
أحق بها ، وكنت فى غاية الضيق والتأسف لما حل بالاولاد فذكرت قول
بعض فقهاء الاندلس ممن نابه مثل ما نابى واحابه مثل ما احابنى :

أليس من القبيح مقام مثل بدار الحيف منكسف الجمال

أخالط أهل سائمة ورح وأرتع بين رابعة الجمال

فأجئت فكرى ، وان كان الكل بقدر الله وارادته ، قرأت أن ذلك ،
وفى القضاء لطف ، أمر أتجه ، كما لا يخفى على ذى بصيرة ، ما حل
بالمغرب من افتراق الكلمة ، وتلاعب شياطين الانس والجن بدوى العقول
منهم فصاروا أحزابا وقرقا ، فأتيت كل طائفة من هواها ما كانت تعبد ،

حتى اذا عرض لعاقل أو عرض عليه منهم الافلاح بادره الشياطين فسدوا عليه بابه ، وأرود باغوائهم وزينوا له أن ذلك يشبه لدى العامة ويوجب له السقوط من أعين الناس ، مع أنه لا يعدد من السقوط إلا الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ، وأيسر يغيب عن الموفق أن السقوط من عين الله هو الطامة الكبرى ، وأين غاب عنه أن العبرة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا بكلام الهمج الرعاع ممن لا يزال الشيطان يلعب به آخذا بزمامه ساكنا على قلبه وليساته ، وأين يغيب عنه من كتاب الله : « فاما من طغى وأثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى ؟ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى » فقلت : انا لله وانا اليه راجعون هذه مصيبة عظيمة نزلت بمنربنا فافترق ملائمتهم وقلت سرواتهم وانتهت أموالهم وهتك حرمتهم ومزقت أعراضهم وقصدت أدبائهم واخلت وبدت عن الوفاق آراؤهم وكادت تقطع بل طلعت فبهم أعداؤهم اللهم اذا الطول والامتنان باحسان بامنان ياذا الحلال والاكرام تداركنا بانطلاقة الشاخصية في ديننا ودياننا باخلاق الارض والسموات .

فان قلت : ما ذكرته من أن خروجك من الخواضر الى البوادي هو نتيجة افتراق الكلمة كما فعله من يقتدى به من الصحابة رضي الله عنهم فتبدى صحيح ، وما دليقتك على التلاعب ؟ قلت : ما خرجت أئمة الصحاح من منع الخروج على الاثمة وان الواجب في حق من رأى منهم ما يكره الصبر والاحتساب إذ غائلة الخور ، وان تفاخر ، أقل بكثير من غائلة الخروج الذي يترتب عليه فساد المهج والاموال والاعراض والادبان وهناك الحرم ، ولهذا صر على الحجاج من علماء الصحابة والتابعين من صبر حتى لقوا الله تعالى سائلي الادبان ، وعبادته معتملي الزمان ، وتذكر ، فما بالمعهد من قدم ، بالمرابط أي محلي كان في قطره عالي الصيت يقصد ويتبرك به ويعتقد فيه أنه قلب زمانه ، وبلغ به الحال الى أن سولت له نفسه أو سول لها أنه يصلح به مالم يصلح بغيره من أهل الزمان فقام وأعانه عليه قسوم

آخرون حتى ملأ الدنيا ضياعاً ودعوى وعياطاً وأكاذيب لا يشهد لها عقل ولا نقل فتمرد على المسلمين حتى لم يسلموا من لسانه ويده ، فقتل ونهب وسب واغتاب وحمل نفيه مالا تطيقه فاستهوت به شياطين الانس والجن والنفس والهوى ، ثم بعد ذلك كله لم يحصل من سببه على طائل وآفة الخلفة عن الكتاب والسنة والرضا عن النفس حتى أنه حكمها فصارت تنصب به الي أن قام وادعى بدعوى استيخ بها ما كان معصوماً من دمه ، وهلكت بسببه نفوس وأموال وغير ذلك ، أشك من ارتياض بالكتاب والسنة ونظر بعين الشريعة أن فعله ذلك مما حملته عليه من نجس مخالفته من الشيطان والنفس والهوى ، وربما استحس فعله ذلك من نفعه من أبلى به أو قلته تقليداً ودأباً في فعله ، قال توبت فانما عليك اتهم الأرسين ، وإلى الآن كانوا يصوبون فعله ويستحبون قوله مع أنه بمنزل عن الكتاب والسنة .

فإن قلت : وهذه طائفة الفقهاء ما بين معص من حزب ومتحيز متعصب ومتصور على ما استأثر به الباطن من العيوب مرتكب للآثام مصر على العيوب ، قلت : وهذه طائفة لانفقاء بها حل ما تقدم وزيادات تضيق عن الاحتاطة بها السطور والخروس قد بددتها ، والعاذ بالله ، القتن ، وشردتها ما تخوفته من المحن ، باتت العلوم واشحلت الفهوم وتعطلت الرسوم فلا منطوق بذكر ولا مفهوم .

هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود قلت : وهذا الشيخ أبو زكرياء ، وهو الذي سألني إلى نصحه الحديث ، كما نسقى به ونستشفى ، وكانت شد إليه الرحال ولا يأنف من إيمانه النساء والرجال ، قد أتته من أقطار مغربنا الوفود ، ودانت له الذئاب والاسود وكان يعلم الجهال ويهدي الضلال ، ويعلم الجائع ويكسو العريان ، ويعين ذا الحاجة وينت الملهقان ، وهي سبل يالها من سبل ، وطريقة ما أحسنها من طريقة ، ثم حارت تلك الجموع ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، أبدى ساء ، وتلانت شدة مدر ما لها من نساء .

أيها الشيخ أكرمك الله بسديده ، أو نجد في الوجود ملكا أعظم من ذلك الملك فضله ، أو سلطانا يوازيه أو يقاربه فتحاوله ، أين خفي عليك الشيء ، وهو ضروري ؟ أم أين ضلت عنك النصوص من الكتاب والسنة وأنت متقولي معقولي ؟ . ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ؟ . . . فقلت الله أكبر من مقتكم أنفسكم . . . وإن أبغض الكلام إلى الله أن يقول الرجل للرجل : اتق الله فيقول : عليك نفسك ، وهو طرف من حديث خرجه الترمذي : قد وعظتك وذكرتك إن نفعت الذكرى . قال جل من قائل ، وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين . .

فقلت من التعجب ليت شعري . . . أيقاظ أمية أم يسام . . . فإن قال شيطان من شياطين الانس أو الجن : هذا ما أريد به وجهه الله ، قلت : الله الموعود ، أياكم والظن بظان الظن أكذب الحديث ، وستلقون ربكم فيسألکم عن أعمالکم وإن خطر هذا وهجس بقلب الشيخ أكرمه الله ، والشیطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، قلت : ادل دليل على أبي قصدت محض النصيحة . هو أنه انتصحنى على دفاع أبي محلى فصحته وقلت له : إن هذا لا نستقيم معه الديانة فكأنه ما قبل فانفصلت عنه وهو يقول : استخرفني الله فكاتبته بأن لا يفعل ، ثم ما نزل وكان على باب الفردوس من نارودات خلوت به فقلت له إذ ذاك : إن الناس يقولون كذا وكذا وعرفته إذ ذاك بما عرفته من أبناء الزمان ، فحمما في رملة إلى الآن أتخيل حرها ، ونبرا من كل ما يقال ، وما زلت على المنع إلى أن جاءت كرايرس من قبل أبي محلى فتأملت فوجدتها منتملة على كعريات في جزئيات ، فحيث شد شرح الله صدرى لإباحة دفاعه .

ثم وإن قلت ذلك ، ففسي آمرة ولا أقول في نفسي ما كان يقوله سجنون في قضية ابن أبي الجواد : . . . مالي وله الشرع قتله ، وليسوا قلت أو غششت لغششت في قضية ذلك الرجل وزيت لك قتاله أولا لأن ذلك هو مقتضى التعصب للامير وإذا لم أنصب إذ ذاك فكيف أستنهله الآن ، فحينئذ أرى نصحت لكم إن قلتم ، ولأنا فكما قال تعالى عن نبي من أنبيائه : دولكن

لا تحبون الناصحين» أتشدك الله الذي بأذنه تقوم السماوات والأرض أما قلت لك بعد رجوعي العام الأول من مراكش بل الذي قبله : إن المذر لا يحسن ؟ وصرحت ولوحت بأن شق العصا لا يحل غير مرة ؟ وما كفاني القول الدال على ذلك إلى أن زدت الفعل بالخروج من مدينة لا أبغضها كما قال :

فوالله ما فارقتها عن قلبي لها واني بشطى جانيها لعارف
ورضيت بالبادية ، مع جفاتها ، فرارا من الفتن ، وعسلا بقوله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن يكون خير مال الرجل غنما يتبع به سفح الجبال ومواقع القطر يضر بدينه من الفتن » . بعد ، فعلى هذا كله ، تصحت فلم أفصح وخائفوا فافلحوا ، وعدوا على من شجع طاعني للائمة مع انك يوم جاء الى دارك قلت لهم : « هذا أميركم » ، ونحن لا نشك أنك من المتبرين في مغربنا وان يبتك لاحد لازمة لنا ، وكذلك حين ذهبت الى مراكش في وقعة أبي محلى قد أراد أهل مراكش فاييت ، وأبحت البلاد لخدم الامير وقلت لهم : انه الامير ، وفهمه الناس عنك بلسان الحال وبلسان المقال ونصروه بمرأى منك وسمع ، أفنتك بعد أن كان منك هذا انك مباح وانت قدوة ؟ واذا كان هذا فاي حجة لك على الامير ولا على المأمورين ؟ فمن زين لك قتاله فقد غشك اذ هو مسلم وابن مسلمين .

فان قلت : موافقتي مشروطة بشروط لم يوف لي بها ، قلت : هب انه لم يوف لك أفستبيح قتاله لاجل ذلك ؟ والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار » الحديث . فبالله أيها الشيخ ما تقول في هذا الحديث وأنظاره ؟ وما تقول فيما انتهب أو عسى أن ينتهب من أموال الناس وأخذ بغير حق وأنفق في سبيل الطاعات والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس » ، أو ما تستحي من ربك يوم تسأل عن النكير والمطمير ، ولست ممن خفى عليه ذلك كله فتمذر عند المخلوقين ؟ أو ما علمت أن كبيرا من العوام يعتقد جواز ذلك اذ رآك ارتكبته فتكون قد

سنت هذه السنة وصل بسبب ذلك كثير من الناس ؟ أو ما خيب دعسوة
المظلوم التي ما بينها وبين الله حجاب ؟ أو ما كنت تعير من يرتكب مثل ذلك
من اللواة وتأسف عليه ؟ لا تعير أحاك المؤمن ، الحديث

لا ته عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
أما انتهت لما وقع لأهل درعة من النهب والسلب واسترقاق الأحرار
وعتك الحرم ؟ ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، الحديث ،
وقد أثارنا السؤال من قبل الشيخ عن صبح سكتة ذلك ولم يستطع إذ ذاك
من نظر بنور العلم أن يقول لهم في ورز نظراً إلى ما آل إليه الحال في
أهل درعة مع أن جنهم حملة القرآن وعامتهم بله ، وأكر أهل الجنة
أنبله ، أفبلى بحق الصالح أن يسلط عليهم من لا يرحمهم ؟ ولا تنزع
الرحمة إلا من قلب شقى ، إنما يرحم الله من عباده الرحماء ، من
لا يرحم لا يرحم ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ،
أوسيت أنه يقتصر للجما من القرناء ؟ وإن الظلم الذي لا يركه الله
ظلم الناس بعضهم لبعض ؟ أفي علمك أن جناتك تقي بما عليك من
السيئات ؟ أو أنه لا تساعة لأحد عليك ؟ ولو كنت يدرب لأجعل أن يقال
في شأنك : ما دته صلى الله عليه وسلم لعير : وما يدريك لعل الله اطلع
على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ؟ أو كما قال عليه السلام ،
والظلم ظلمات يوم القيامة ، أو يستطيع أن تقحم ظلمات السراط وأث
مسئول عن القيروط ؟ وحتى أهل تارودانت بلغنا أنه لم يكن في شأنهم الترويع
بل بلغ بهم الحال والجور إلى التعرير ، فأتق الله أيها الشيخ ولا تكن كمن
إذا قيل له : اتق الله أخذه العزة بالآثم ، هذا ما يتعلق ببعض حقوق
الناس على العموم ويتعلق بحق كانه على الخصوص ، انك أخذت عليه
أن يؤدي الطاعة للأمير ويرعى ما هو من شيم المؤمنين من حسن العهد
والشورى من الغدر وشق العصا بعد أن يدل وسعه في نصحتك ونصح
الامير ، وحاول بكلية على جمع الكلمة وتعب في ذلك وأقحم فيه عقبات
لا يقطعها إلا بأزل ، ولا سبل إليها من يكون في دينه وعمله مثلى

ممن هو نازل :

لمر أميك ما نسب المعلى الى كرم وفى الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقتعرت وصوح تبثها رعى الهشيم
اذا غاب ملاح السفينة فارتعت بها الريح هوجا دبرتها الضفادع
ولكن ليس من شرط الصحة كمال الناصح كما انه ليس من شرط
تغيير المنكر عدم ارتكاب المغير ما غير ، لان هذه طاعة وتلك أخرى ،
والتوفيق بيد الله سبحانه ، نعم يلقى مع ذلك وجزم لى به أنك مع
بذل النصيح لك وللأمير أصلح الله الجميع وأصلح ذات بينهم أخذت
على بالرسد فى ففولى لصيتى والرجوع اليهم رعاية لما يجب ويندب من
بحقوقهم ، وهل هذا الا حكم الهوى والشيطان ، أعذك ما تمنح به ذلك ؟
مع أنى والحمد لله أينما كنت لا أسى الا فى مصلحة جهد الاستطاعة أو
بت نصيحة حين لا أرى من بينها ، أو اغانة ملهوف حين تجب اغائته ،
لئن بسطت الى يدك لقلنى ، الآية ، ولكن الله عز وجل يقول : « ولا
يحقيق المنكر السيء الا بأهله » وفى التوراة : « من حفر حفرة فليوسمها »
ولا تحفرون بئرا تريد بها أخا ، فإن وجدت ما يسوغ لك ارتكاب مثل هذا
قولا أو فعلا أو اشارة أو تصريرا أو تلويحا ؟ و اى جريمة توازى هذه
الجريمة ؟ او كبيرة من الآثام أكبر منها ؟ والله الموعد ، وسيعلم الذين
ظالموا أى منقلب ينقلبون ، هذا ، والسعاية الصحفية بسؤالى عن دفاع مكانه
أين تجدون ما بوجب اباختها ؟ أين غاب عنكم انها من الكبائر ؟ وأين
غاب عنكم قوله صلى الله عليه وسلم : « ان الرجل ليتكلم بكلمة يعوى بها فى النار
سبعين خريفا ؟ » أهذا من اخلاق المؤمنين والعالقين ؟ وانت مسن بيت
الملاح ، ما كان جدك يرضى مثل هذا ، وما كان أبوك امرا سوء ، وهذا
والله اعلم نتيجة قرناء السوء ، ولا تصحب من لا يهفك حاله ، ولا يدلك
على الله مقاله ، وللى هذا ينتهى حق الصحة اعنى بذل النصيح ، ان الله
يسأل عن صحة ساعة ونحن صحتك واعتقدتاك ونصحتك ووعظتاك
« انصر اخاك ظالما او مظلوما » فصرناك بالرد الى الجادة ، أين انت من مولانا

الحسن بن علي إذ تخلى عن الأمر لابن عمه معاوية مع أنه عاشى على سوى
 فاطمي إحدى ربهاتى النبي صلى الله عليه وسلم ومعاوية أموى بجمعهما
 عبد مناف ؟ فتخلى عن الامارة مع أنه امام وابن امام واصلى الله به ، وهو
 سيد ، بين قسيتين عظيمتين من المسلمين ، بعد أن كان يلقب بإمير المؤمنين ،
 فقال له بعض اصحابه إذ سلم عليه : «يا عار المؤمنين» فلم يكثر بذلك
 وقال : « النار أشد من العار » ألهمنا الله وإياكم رشد أنفسنا وجعلنا وإياكم
 من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه : انتهى

ولم يزل الفقيه أبو زكرياء معصما على طلب جمع الكلمة الى أن اختارته
 المية : قال صاحب القوائد ما صورته : قام الشيخ أبو زكريا بجمع الكلمة
 والنظر فى مصالح الامة واستمر به علاج ذلك الى أن توفى ولم يتم له أمر
 انتهى ، وكانت وفاته ليلة الخميس سادس جمادى الثانية من سنة خمس
 وثلاثين والف بقصة نارودات وحمل من القدر الى رباط والدة فدفن
 بحسبه رحمه الله



بقية اخبار السلطان زيدان وذكر وفاته رحمه الله



قد ذكر المؤرخ لوزير البرتقالى فى كتابه الموضوع فى اخبار الجديدة شيئا من اخبار السلطان زيدان رحمه الله فقال : وكان السلطان زيدان صاحب مراكش مسلما لنا كافا عن حربنا وكانت المقاتل تقتات عليه فى غزونا فكانت غاراتهم لا تنقطع عنا ، وكان هو ايضا معهم فى شدة ومكابدة من اجل اعوجاجهم عليه ، ثم ذكر ان من جملة من غزاهم فى دولته السيد سعيد الدكالى قلت : واطله والد السيد اسماعيل صاحب الزاوية المشهورة ببلاد دكالة ، قال : فنهض سعيد بحال وغيره وامتناس الاسلام وسار الى الجبل الاخضر وغيره فجمع الجموع نحو اتى عشر الفا وزحف بهم الى الجديدة ، وواقفه على ذلك قائد آزمور وبعض أتباع الشاوية ، وكانوا فى نحو مائتين وخمسين من الحيل ، وارتاع النصارى منهم وخافوا خوفا شديدا ، ولزمهم قائدهم بالجبل فى حراسة الاسوار والانقاب ، وان يدعوا باب الجديدة ولا يفتحوا منه الا خوخته ، وحاصرهم المسلمون ثلاثا ثم قضى الله بوفاة السيد سعيد فافترق ذلك الجمع ، قال لوزير : ما مات أسفا على ما فاتته من الفتك بالنصارى كما يحب .

وفى سنة أربع وثلاثين والى الف خرج السلطان زيدان من مراكش وقصد ناحية آزمور ولما انتهى الى الموضع المعروف بام كرس من بلاد دكالة حمل اليه نصارى الجديدة هدية نفيسة ، ثم قدم نحر آزمور فى نحو اربعين الفا من الحيل على ما زعم لوزير ودخل البلد ، واخرج أهل آزمور عدة مدافع من البارود فرحبا به ، ولما سمع نصارى الجديدة بذلك اخرجوا مدافعهم ايضا فرحبا بالسلطان وادبا معه .

وفى سنة ست وثلاثين والى الف ثار على السلطان زيدان الفقير ابراهيم كانتوت هكذا سماه لوزير ، ولم يدرك من هو ، قال : وفى خمس عشر

من دجنبر من السنة تواقف جيش التائر المذكور مع جيش السلطان للحرب
ببلاد كالة ، وكان جيش السلطان يومئذ الفا وخمسمائة فقط ، وجعل على
مقدمته ابنه عبد الملك ، فانهزم ابراهيم وقتل ، وقتل جماعة كبيرة من اصحابه
وقبض على ولده فبعته السلطان مع عدد وافر من رؤوس اصحابه الى مراکش
واخرج نصارى الجديدة المدافع ايضا فرحا بهذا الخبر ، فبعث اليهم السلطان
زيدان بغرس احمر لقائدهم اكراما له ، وكتب اليهم بكتاب تاريخه سادس
رمضان سنة ست وثلاثين والى مكافاة لهم على ادبهم معه ، انتهى كلام
لويث وقال اليفرنى رحمه الله : وكان السلطان زيدان من لدن مات ابوه المنصور
وبوج هو بفاس فى محاربة مع اخوته وابنائهم ومقابلة مع القائمين عليه
من التوار الذين تقدم ذكر بعضهم ، ولم يطل قط فى سنة من سنى دولته
من هزيمة عليه او وقعة باصحابه ، ووقعت بينه وبين اخوته معارك شتى
لها الوليد ، وكان ذلك سبب خلاه المغرب ، وخصوصا مدينة مراکش ،
وبما عدا من نحس زيدان واستدل به على فشل ربحه لانه فى بعض النوافع
بعث كاتبه عبد العزيز بن محمد النعلبي بمشرة قناطير من الذهب الى صاحب
القسطنطينية العظمى وطلب منه ان يمدد بعض اجناده كما فعل مع عمه عبد
الملك الغازى ، فجهز له السلطان العثمانى اتى عشر الفا من جيش النسر
وركوا البحر فلما توسطوا غرقوا جميعا ولم ينج منهم الا غراب واحد
فيه شرذمة قليلة .

وقال لمنوبل : ان قراصين الاصنيول غنمت فى بعض الايام مركبا
للسلطان زيدان فيه اثناث نفيسة من جملتها ثلاثة آلاف سفر من كتب الدين
والادب والفلسفة وغير ذلك

قال اليفرنى : وكان زيدان غير متوقف فى الدماء ولا مبال بالعظام

(*) قضية اخذ الاصبان لكتب زيدان شهيرة فى كتب الافرنج وتوارى عنهم فلتراجع
فيها ولا بد والكتب لا زالت محفوظة بخرانة الاسكيريال قرب مادريد وقد دعت
الحكومة الاصلانية فى وقتنا هذا وهو ١٩٤٢ احد الفرنسيين لعمل برنامج لها

قلت : وهو مخالف لـ اذكره زيدان في رسالته التي خاطب بها ابا زكرياء
المتقدمة من انه ما سعى في قتل احد الا بضوى اهل العلم والظن بزبدان
انه ما قال ذلك الا عن صدق ، والا فمن الجيد ان ينحصر على خصمه ويدلى
بشيء هو منصف بضده

وكان زيدان فقيها مشاركا متضلعا في العلوم وله تفسير على القرآن
العظيم اعتمد فيه على ابن عطية والزمخشري

قال اليفرنى : « وكان كبير المراء والجدال كما وقع له مع الشيخ
ابى العباس الصومعى » قلت : انذى وقع له مع الصومعى هو انه لما السف
كتابه الموضوع في مناقب الشيخ ابى يعزى رضى الله عنه وسماه المعزى
بضم الميم وفتح الزاى بصفة اسم المفعول من الرباعى عارضه زيدان ، وهو
يومئذ بتادلا واليا عليها من قبل ابيه ، بانه لم يسمع الرباعى من هذه المادة
وانما قالت العرب : عزاه يعزوه ثلاثيا ، فاصر ابو العباس رحمه الله على
رأيه الى ان لطمه زيدان على وجهه بالمثل ، فشكا الى المنصور فقال له :
لو لطمك وهو المخطىء لعاقبه اما اذ كان الصواب معه فلا

قلت : كان زيدان يومئذ في عنوان النسيه فقدر منه ما صدر
فان يك عامر قد قال جهلا فان منظومة اجهل الشاب
ومع ذلك فما كان من حقه ان يفعل ، واظن ان انتكاس دأبه سائر
ايامه انما هو اثر من آثار تلك النظمه ، فان لله تعالى غيرته على المنسيين
الى جنبه العظيم ، وان كانوا مقصرين ، فسأله سبحانه ان يجنبنا موارد
الشقاء ويسلك بنا مسالك الرقى في القضاء ، والمسلطان زيدان شعر لا بأس
به منه قوله :

فتتبا موالف وخدود وعيون مدعجات رقود
ووجوه تبارك الله فيها وشعور على المناكب سود
أهلكنا الملاح وهى ظباء وخضنا لها ونحن اسود
وقوله :

مررت بقر هامد وسط روضة : عليه من التوار مثل النمارق

فقلت لمن هذا فقالوا بذلة ترحم عليه انه قبر عاشق
وكانت وفاته رحمه الله في المحرم فاتح سنة سبع وتلاثين والالف ،
ودفن بجانب قبر أبيه من قبور الاشراف في جامع المنصور من قصبة
مراكش ومما نقش على رخامة قبره قول القائل :

هذا ضريح من به	فتخر انفاخير
حامى حمى الدين بك	ل ذابل وباتر
لا زال صوب رحمة الله	به عليه ماطر
أرخ وفاة من غدا	جلا لرب غافر
زيدان بط أحمد	متكر المنائر
أجل من خاض الوغا	وللاعدى قاهر
ومن ثذا رضوانه	نحة كل عاطر
بمقعد الصدق علا	أبو المعالي الناصر

ووزراؤه: الباشا محمود ، ويحيى آجانا الوريكي وغيرهما ، وكتابه :
عبد العزيز الفتالي كاتب ابيه ، وعبد العزيز بن محمد التغلبي وغيرهما ،
وقضاه : ابو عبد الله الرجرجي وغيره ، وترك عدة اولاد منهم : عبد الملك
والوليد ومحمد الشيخ ، وهؤلاء ولوا الامر بعده ، وأحمد وغيرهم
رحم الله الجميع

الخبر عن دولة السلطان أبي مروان عبد الملك بن زيدان رحمه الله

لما توفي السلطان زيدان رحمه الله في التاريخ المتقدم ببيع بعده ابنه
عبد الملك ، ولما تمت له البيعة تار عليه أخواه الوليد وأحمد فوكت بيته
وبينهما معارك وحروب الى أن مزماه واستولى على ما كان بيدهما من
العدة والذخيرة ، وفر أحمد الى بلاد الغرب فدخل حضرة فاس يوم الجمعة
الحامس والعشرين من صفر بعد وفاة أبيه بستة واربعين يوما فانسم بسنة

السلطان وضرب سكه ، وفي ثالث عشر شوال من السنة عدا على ابن عمه محمد بن الشيخ المعروف برغودة قتلته غدرا بالقصبة ، ولما كان الحادي عشر من ذي الحجة سنة سبع وثلاثين والف أخذ أحمد المذكور وسجن بفاس الجديد على يد قائدهم عيو وبأها وبقي مسجوناً سبع سنين ثم خرج من السجن مستخفياً بين نساء في سبع وحب سنة أربع وأربعين والف وأعلن العامة بنصره ولم يتم له امر ، ثم توفي قبلاً في الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة إحدى وخمسين والف رمي برضاة من بعض العامة فكان منها حنقه وذلك جلس الجديد ولم يتم له امر

ظهور أبي عبد الله العياشي بسلا ومبايعة اكابر عصره له

على الجهاد والقيام بالحق

قد تقدم لنا انتقاض اندلس سلا على السلطان زيدان وقتلهم مولاه عجبياً فبقيت سلا فوضى لا والى بها فكر النهب وامتدت ابدى اللصوص الى المال والحريم ، وسيدى محمد العياشى ساكت لا ينكلم وكثرت الشكايات من التجار والمسافرين بمخافة السبل وقطع الشراقات ، فاهرع الناس الى ابي عبد الله المذكور من كل جانب ، وكثرت وفوده ، واشترقت في الجو السلاوى انواره ، فثمر عن ساعد الجد واظهر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولما طالبه الناس بالتقدم عليهم والنظر في مصالح المسلمين وامور جهادهم مع ادوهم امر أنباخ القبائل واعيانها من عرب وبربر ورؤساء الامصار ان يضعوا خطوطهم في ظهير بانهم رضوه وقدموه على انفسهم والتمروا طاعته ، وان اى قبيلة خرجت عن امره كانوا معه يدا واحدة على مقاتلتها حتى تقى الى امر الله ، فاعضوا بذلك خطوطهم في ظهير ، وانهم رضوه وقدموه على انفسهم ، ووافق على ذلك قضاء الوقت وتفتاؤه من تأسنا الى نازا

وكان الحامل له على طلب ذلك منهم انه بلغه عن بعض طلبسة الوقت انه قال لا يحل الجهاد الا مع الامير ، فضل ذلك خروجاً من تلك الدعوى الواهية ، والا فقد كتب له علماء الوقت كالامام ابي محمد عبد الواحد بن عاشر ، والامام ابي اسحاق ابراهيم الكلالي يضم الكاف المعقودة ، والامام ابي عبد الله محمد العربي القاسي وغيرهم بان مقاتلة العدو الكافر لا تتوقف على وجود السلطان واتحاد جماعة المسلمين تقسم مقامه* ، ولما كمل امره وياحه للناس على اعلاء كلمة الله ورد الظلم عن ضغفء الامة خاق الامر على عرب الغرب لاعتيادهم الفساد وعدم الوازع ومحبتهم الخلاف والفتنة ، فنكت ببعثة جماعة منهم

وكان ممن نكت الناصر بن الزبير في لمة من سراكة فقاتلهم ابو عبد الله حتى ظفر بهم ثم عفا عنهم ، ونكت ايضا الطاغى بالناء بدل الطاء فسي اسانهم مع جموعة اولاد سجير فقتلهم وعفا عنهم ، وكذلك عرب الحياينة طلقوا على اهل فارس وعاتوا خلال تلك البلاد باغراء ولد السلطان زيدان ، فقاتلهم ابو عبد الله فكانت الدبرة عليهم ، وتاب على يده جماعة من رؤساء سراكة الذين كانوا مع الحياينة ، وكانت عاقبة كل من بنى عليه خسرا

وكان اهل سلا قد لقوا من نصارى المعمورة مضرة وشدة ، فلما اجتمعت الكلمة على ابي عبد الله العياشي ورد الله كيد من نكت في نحره كان اول ما بدأ به انه تها للخرج الى خلق المعمورة ، واستعد لقتاله ومنازلة من فيه من النصارى طمعا في فتحه فيتقوى المسلمون بذخائره ، وكان المسلمون قد حاصروه قبل ذلك فلم يقدروا منه على شيء وصعب عليهم أمره ، وكان ابو عبد الله اذا اراد ان يظفره بغنيمة رأى في منامه انه يسوق خنازير او نحوها ، ولما سار بجموعه الى الخلق ونزل عليه رأى قطعتين من الخنازير معها غنوز ، فكان من قضاء الله وضحه انه في صبيحة

(*) بل في مقدمات ابن رشد ما نصه : « ويجاهد العدو مع كل بر وقاجر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » ه فكيف بهذا الولي الكبير رضي الله عنه . ه من املاء مؤلفه

تلك الليلة قدمت أغربة من سفن النصارى بقصد الدخول الى الخلق فضيق عليهم رعاة المسلمين الذين بالحدق ، فأرادوا ان ينحرفوا الى البحر فردهم البحر الى ساحل الرمل هنالك فتمكن المسلمون منهم وقتلوا وسبوا ووجدوا في الاغربة زهاء ثلاثمائة أسير من المسلمين فأعتقهم الله ، وأسر يومئذ من النصارى أكثر من ثلاثمائة ، وقتل منهم أكثر من مائتين ، وظفر المسلمون بقطبان من عظمتهم فقدم به الرئيس طابق رئيس أهل الجزائر ، وكان عندهم محبوسا في قفص من حديد .

واستقامت الامور لابی عبد الله العياشى بسلا وبني داره داخل باب المعلقة منها ، وبني يرجين على ساحل مرمى العدونين من ناحية سلا ، وهما المعروفان اليوم بالبساتين .

ثم كانت غزوة الخلق الكبرى وكان من خبرها أن جيش أهل فاس خرجوا بقصد الجهاد فنزلوا بموضع يعرف بعين السبع وكنوا فيه ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع خرج النصارى الى تلك الجهات على غرة فظفر بهم المسلمون ، وكان النصارى لما خرج جيش أهل فاس أعلمهم بذلك مسلم عندهم مرتد فأعطوه سلما وجاء بها الى سلا بقصد بيعها والتجسس لهم على الخبر فأخذوا وقتل ، وعميت عليهم الانباء اذ كانوا يتظرون من يرد عليهم فيخبرهم ، ولما أبطلوا عليهم خرجوا فلم يشعروا الا بالخل قد أحاطت بهم وقتل منهم نحو الستمائة ، ولم ينج الا القليل حتى لسم بيت في الخلق تلك الليلة الا نحو اربعين رجلا منهم ، وغنم المسلمون منهم أربعمائة من العدة ، ولم يحضر أبو عبد الله العياشى في هذه الوقعة لانه كان قد ذهب الى طنجة حقا على يوم المسامر ، لان النصارى خذلهم الله كانوا قد صنعوا نوعا من المسامر بثلاثة رؤوس تنزل على الارض والرابع يبقى مرفوعا ، وبثوا ذلك في مجالات القتال مكيدة عظيمة تتضرر منها الفرسان والرجالة ، فلما رجع واعلم بضعف من بقي بالخلق بعث الى أهل الاندلس بسلا يصنعون له السلالم كي يصعد بها الى من بقي في الخلق فيستأصلهم ، فتأفلوا عن صنعها غشا للإسلام ومناوأة لابی عبد الله ، حتى جاء المدد لأهل

الخلق ، وكانت تلك الرابطة بين أهل الاندلس والنصارى متوارثة من لدن كانوا بارضهم ، فكانوا آتس بهم من أهل المغرب ، فلما أتى أبو عبد الله بالسلام لم تكن بعد شيئاً ، ومن هنالك استحسنت البغضاء بينه وبين أهل الاندلس ، وكان أهل الاندلس قد أعلموا النصارى بأن محلة أبي عبد الله النازلة لمحاصرة الخلق ليست لها اقامة فبلغ ذلك أبا عبد الله فأقام عليهم الحجة ، وشاور العلماء في قتالهم فاتفق أبو عبد الله العربي الفاسى وغيره بجواز مقاتلتهم ، لأنهم حادوا الله ورسوله ووالسوا الكفار ونصحوهم ، ولأنهم تصرفوا فى مال المسلمين ومنوعهم من الراتب ، وقطعوا البيع والشراء عن الناس ، وخصوا به أنفسهم وصادقوا النصارى وأمدوهم بالطعام والسلاح ، وكان سيدى عبد الواحد بن عاشر لم يجب عن هذه القضية حتى رأى بعينه حين قدم الى سلا بقصد المراقبة ، فرأى أهل الاندلس يحملون الطعام الى النصارى ، ويعلمونهم بمودة المسلمين ، فاتفق حينئذ بجواز مقاتلتهم فقال لهم أبو عبد الله وحكم السيف فى رقابهم أياها الى أن أخمد بدعتهم ، وجمع الكلمة بهم .

ولما وقعت غزوة الخلق الكبرى قدمت الوقود على أبي عبد الله بقصد التهئة بما منحه الله من الظفر فحضر الناس على استئصال شاة من بقى بالخلق من النصارى ، وغير العرب يترك الكفار فى بلادهم ، وكان ممن حضر من العرب جماعة من الخلف وبني مالك والثاغى والدخسى وغيرهم ، فقال لهم أبو عبد الله : « والله والله والله ان لم تأخذكم النصارى لتأخذنكم انبرر . فقالوا : « يا سيدى كيف يكون هذا . وأنت فينا ؟ » فقال لهم : « اسكنوا أنتم الذين تقطعون رأسى ، فكان كذلك ، وهذا من كراماته رضى الله عنه ، ثم صرف عزمه الى التصيق على نصارى المرائش وشن الغارات عليهم ، فتقدم فى جمع من المسلمين وكمن بالغابة نحو من سبعة أيام فخرجوا على حين غفلة فمكن الله من رقابهم ، وكان فى مدة كموته بالغابة أخذ حناشاً من عرب طليق يقال له ابن عيود ، والحناش فى لسان عامة أهل المغرب هو الجاسوس ، فأراد أبو عبد الله قتله ، فقال له : « استغنى وأنا نائب الى

الله وأنا أنفع المسلمين ان شاء الله ، فتركه فذهب الى النصارى وكان موثوقا به عندهم حتى كانوا يؤدون اليه الراتب ، فقال لهم : « ان أجباه العرب وحملها قد نزلوا بوادي المرائش فلو اغرتم عليهم لخنضموهم » فخرجوا فمكن الله منهم وطمحهم المسلمون في ساعة واحدة طحن الحديد ، ولم يسج منهم الا الشريد ، وكان ابن عبود قد بقي بايديهم فأخذوه ومثلوا به ونزعوا انسانه وارادوا قتله لولا انه رفعهم الى سرعهم ، وكان عدد من قتل من النصارى نحو الف وكانت هذه الواقعة سنة اربعين والف

بقية اخبار السلطان عبد الملك بن زيدان ووفاته

قال اليفرنى : كان عبد الملك بن زيدان قائد الميرة مملوس البصرة وبلغ من قلة دينه انه تزاد له مولود فاطهر انه اراد ان يحتفل لسابعه فبعث الى نساء أعيان مراکش ونساء خدامه ان يحضرن ، وصعد هو الى منارة في داره ففخر الى النساء ومن مستورات ند وضمن ثيابهن قايتهن أعجبه بعت اليها وكان مدمنا على شرب الخمر الى ان قتله العلوج بمراكش وهو سكران يوم الاحد سادس عشر شعبان سنة اربعين والف ، ودفن الى جنب قبر ابيه وسط منويل خبر مقتله فقال : « لما نذر الوليد على اخيه عبد الملك وعادت الكرة عليه بقي متقلا في البلاد ثم رغب الى اخيه حتى رده الى مراکش ، فأخذ الوليد يستميل رؤساء الدولة ووجوهها وتجارها ويعددهم بالاحسان حتى واقفوه على الفتك ياتخيه فرصدوه حتى غفل البوابون ودخلوا عليه قبة وهو متكى على طنفسة قرموه برصاعة وتناولوه بالخناجر المسماة عند المغاربة بالكعبات ، وقامت الهمة بالنزود والقصة فحاض الوليد على نفسه من بعض نواد الجند فأخرج جنازة اخيه الى انشور حتى شاهده الناس ميتا فسكنوا وانقطع املهم وباعوه » انتهى قال اليفرنى : ومما رأيت من قسوة على رخامة قبره هذان البيتان :

لا تقطعن فإن الله منان وعنده لنورى عفو وغفران
 ان كان عندك امسال ومعصية فعد ربك افضل واحسان
 ومن وزرائه : محمد بننا العالج ويحيى آجانا الوريكى وجوزد
 وغيرهم وقاضيه : الفقيه ابو مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكاني فاضى
 مراکش . ومفتيه : ابو العباس احمد السملالى رحم الله الجميع

الخبر عن دولة السلطان أبى يزيد الوليد بن زيدان رحمه الله

لما قتل السلطان عبد الملك بن زيدان فى التاريخ المتقدم بوج أخوه
 الوليد بن زيدان فلم يزل مقتصرًا على ما كان لآخيه وأبيه من قبله لئلا
 يتجاوز سلطانه مراکش واعمالها ، وعظمت الفتن بغاس حتى عطلت الجمعة
 والتمرايح من جامع القرويين مدة ، ولم يصل به ليلة القدر الا رجل واحد
 من شدة الهول والحروب التى كانت بين أهل المدينة
 واقسم المغرب فى أيام اولاد زيدان طوائف فكان حاله كحال
 الاندلس أيام طوائفها كما ذكرنا ونذكر بعد ان شاء الله

ظهور أبى حسون السملالى المعروف بابى دميعة بالسوس

ثم استبلاؤه على درعة وسجلامة واعمالها



هذا الرجل هو ابو الحسن ، ويقال : ابو حسون على بن محمد بن
 محمد بن ابى الصالح ابى العباس أحمد بن موسى السملالى ، وكان بسدة
 امره انه لما ضعف امر السلطان زيدان بالقع السوسى وقتل ربيعة فيه نفع
 هو فدعا لنفسه وجر ناز الريانة الى قرصه ، وتالت عليه البرابرة من بساطة
 جزولة وجبالها ، وانفت عليه غالب القبائل السوية فاستولى على تارودانت
 واعمالها الى ان اخرجها عنها الفقيه ابو زكرياء بن عبد المنعم بعد حروب

وفى عظيمة حسبا مرت الإشارة إليه *

ولما توفي أبو زكرياء فى التاريخ المتقدم صفا لابی حصون قصر السوس ونفذ فيه أمره وسمعت كلمته ، ثم بعد مهلك زيدان مد يده الى درعة فاستولى عليها ، ثم استولى على سجلماسة وتواجهها فلتحكم أمره وتقوى عضده ولم يزل أمره نافذا فى سجلماسة الى ان نار عليه الالام الهصور المولى محمد بن الشريف فأخرجه من سجلماسة بعد حروب يشيب لها الوليد ، ثم أخرجه من درعة ايضا على ما تذكره بعد ، وقد وفقت على سؤال رفع من جانب ابى حصون الى القاضى ابى مهدى السكتانى فى شأن مدينة ايلينج دار ربانه ومقر عزه يستغنى فى احداث كنية اليهود بها هل يجوز أم لا وفيه مع ذلك بعض الكشف عن حال هذه المدينة فلذكروه ونصه :

والحمد لله الذى ارتضى الاسلام ديناً ، وانزل به على خيرة خلقه كتاباً مبيناً ، الفقيه الاجل العلامة الاحفل القاضى الاعدل ، خاتمة المحققين ومعمد الموثقين ، ابا مهدى عيسى بن عبد الرحمن السكتانى وفقه الله لهما يرضيه ، واعانه على ما هو مثوبه ، اللام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ، فقد تقرر عند سيدنا امر هذه الحضرة العلية العلوية ايلينج ادام الله بهجتها ، كما رفع كبيرها من الخواضر درجتها ، وانها محدثة فتوفرت ببركة بانها عمارتها ومبانيها ، فانخذها سكنا اهل السهول والحزون ، وجمعت لطيب تربتها بين الضب والنون ، فنزلها برسم الاستيطان اوثناب من

* قال التمارتى فى الفوائد : وفى ذى القعدة سنة تسع وثلاثين والاف حاصر بغاة العرب والبربر مدينة السوس الاقصى تارودانت وهى اذ ذاك تحت إمارة الامير ابى الحسن الجزولى فاستباحوها إلا قصبتها وحاصروها خمسة وعشرين يوماً وحفروا اسراباً تحت سورها فوجدوا قاعدة اساسها لا تنال القوس منه شيئاً لو ثاقته فمقطوا وبلغ خبرهم الامير المذكور فطوى اليهم المراحل من الصحراء ولما قارب بلاد السوس أقبلوا وهربوا عنها فرود فى جيش عظيم من جزوة فاقام بها حتى اصابها وشعنها بالعدد والجوش ولم يتمكن من البقاء لتفرقهم فى الجبال اها الغرض منه ويظهر ان القطر السوسى صفا بعد هذا التاريخ لابی حصون واستتب فيه أمره

أهل الذمة ، بأن مختطها الامام العالي الهمة ، فاحتطوا بها عن اذنه منازلهم
وبنوا بفنائها كبيسهم وصيروها متعبدهم ، فاتفق ، والتحدث نجس ، ان
جرى ببعض اندية علمائها ، ومحضر جمع من نهاء البلدة وفقهائها ، كلام
أففى بهم الى ذكر الكنيسة المذكورة ، والمجادلة فى محصل الحكم الشرعى
فيها فى الدواوين المسطورة ، فاففى بعضهم بوجوب عدها لانها محدثة
ببلاد الاسلام ، ولما فى تركها من المقامد العظام ، وانها لا ترك لهم متعبدا
وجزم الكلام ، وقال : هذا محصل ما ذكره فى مثل هذه القضية الاعلام ،
واففى فريق بجواز ابقائها ، وانه لا ينبغي تفويض بنائها ، ولا التعرض لهم
فى احدثائها ، اذ على مثل هذا من دينهم القامد اقروا واعطوا الذمة فاعطوا
الجزية صاغرين ولم يرد منع اجتناع دينين الا فى جزيرة العرب ، وكم من
بلد اسلامى محدث مشحون بالعلماء احدثت فيه ولم يقولوا بمنعه وتواطؤهم
على تركها كائن الدليل على جواز احدثائها وابقائها بعده ، واستمر
الحجاج ، وكرر الاجاج ، ولم يقع كل فريق بما ايداه الاخر من
الاجتناج ، فعملت لذلك الى ان تفرقوا فيها بعلمكم النافع بين العذب والاجاج
بفتوى تبين صحيح الاقوال من قبيها ، وتفعل بين ليلى وغريمها ، ولولا
محل النزلة من الدين ما رقت اليكم ، فلذلك وجب الجواب عنها عليكم ،
مع مسألة اخرى وهى : انهم طلبوا ان ترك لهم بقعة يوارون فيها جيف
موتاهم لان مسافة ما بينهم وبين اتران التى هى مقرة قديمة لهم بعيدة هل
يساعفون ام لا ، والله بيقكم ومجدكم محروس ، وظل من استرلكم
مكسوس . والسلام عليكم .

الجواب :

الحمد لله وعلى فقهاء بلادنا السوية حرسها الله واكرمهم باتباع
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام ورحمة الله وبركاته ، أما بعد ،
فقد وقف كاتبه عفا الله عنه على نزلة أهل الذمة النازلين بإيلسغ مختط
أولاد السيد البركة قطب بلادنا سيدى احمد بن موسى نفعنا الله ببركاته
وبارك فى ذريته وسددهم لما فيه رضاء آمين ، ولما وقعت عليها وتأملت

وأبى أن الصواب فيها الصوى يمنع أحداث أهل انذمة الكنائس فيها ويهدم ما بنى فيها بعد أحداثه لأن ايلنج من بلاد الاسلام ، ولا فيه شبهة لأهل الزمة الطائر من عليه لا باعتبار الفتح المسمى ولا باعتبار الصلحي على اختلاف في المغرب باعتبار فتحه ، وحامل امرها خفاء الحال فيها وإذا كان الامر هكذا فالحكم انها ملك لدعيتها الحائر لها ، والأراضي اقسام : أرض اسلام لا يجوز أحداث الكنائس بها باتفاق ، ثم ان وقع شيء من ذلك هدم ، وأرض ايلنج من هذا القسم فإن ملكوا الأرض التي بنوا فيها الكنيسة بوجه من وجوه التملك كالعطية وحب هدمها ونقصها ، ويكون لهم ما يسوع من المنافع ، وإن كان بناء الكنيسة شرطا زدت العطية وفسح البيع ان كان به لانه في معنى التحسيس على الكنيسة ، وأخاض ان وجه دخول اليهود ايلنج معلوم ، وإن بلده ملك للإسلام ، وبناء اليهود بها الكنائس معصية ، وتمكينهم منه اعانة عليها وهذا لا يحضى ، وأما الجواز والافاء به في النازلة فمعزى عن الصواب والاستدلال على الجواز بحواضر المغرب وسكون علمائها وموافقة امرائها لا يتم ، لأن اصل تمكينهم من الكنائس مجهول ، إذ يحتمل أموراً منها : انه يحتمل ان يكون بعهد كآل لهم في غير تلك البلاد من اقرارهم على بلد يسكنونه مع بقائهم على معبدهاتهم ، ثم تقوا لصحة الفحص ذلك ، أو أرجح ، ولأن البلاد تقدم فيها اليهود وغيرهم من أهل الصلح ، والحاصل أن وجه دخولهم مجهول في هذه البلاد بخلاف ايلنج ، وتارة ايلنج معلومة الدخول فيهما بون فقياس احدهما على الاخرى لا يصح وبالله التوفيق وكنت عيسى بن عبد الرحمن وفقه الله آمين

ولما علم الم رابط بالحكم أمر بهدمها ومنع اليهود مما أرادوه



بقية أخبار السلطان الوليد بن زيدان ووفاته رحمه الله



قال في شرح الزهراء : كان الوليد بن زيدان مظاهرا بالديانة ، بين الجانب حتى «ضيقه الخاصة والعامة» وكان مولها بالسماع لا يترك عنه ليلا ولا نهارا ، إلا أنه كان يقتل الاشراف من اخوته وبني عمه حتى أبقى أكرهم ، وكان مع ذلك محبا في العلماء مائلا اليهم بكلية متواضعا لهم ، وله ألف القاسد ابو الحسن علي بن الطيب منظومة المشهورة في الفواكه الصيفية والحريفة ، وألف القاضي أبو مهدي السكتاني شرح صرى الصغرى للنوسى برسمه ، والقصة المعروفة بالوليدية على ما حل البحر المحيط فيما بين أسفى ونيط هي منسوبة اليه وأظنها من بنائه * والله أعلم

وأما وفاته فبها ان جده من العلوج طالبوه بمرتتهم وأعطيتهم على العادة وفلوا له : «أعضا ما تأكل» فقال لهم على طريق التهكم : «كلوا فسر انذارنا بالسر» فغضبوا لذلك وكمن له أربعة منهم فقتلوه غدرا يوم الخميس الرابع عشر من رمضان العظم سنة خمس وأربعين وألف .

وقال متويل : لما ولي الوليد قتل أخاه اسماعيل واثنين من أولاد أخيه عبد الملك وسبعة من بني عمه ، ولم يترك إلا أخاه الشيخ بن زيدان أسفارا له اذ كان سنة يومئذ إحدى عشرة سنة ، وكانت أمه تحاف عليه من الوليد فكانت تحرسه منه حراسة شديدة ، وألقى الله محبته في قلب سائر نساء القصر لما رأين من هلاك الأعيان وعرضة الملك للزوال ، وكسبن حازمات يقمن مقام الرجال حتى ان بعضهن كانت لها طبنجات في حزامها دائما تحرس الشيخ من أخيه الوليد .

ثم ان رؤساء الدولة سمووا ملكه فانفقوا مع نساء القصر على قتله ، وكان الوليد عازما على قتل أخيه الشيخ أيضا ، فاحسب ان ضيع ذات

[*] قد جزم المؤرخ الفرنسي دوكلستري بأنه : من بنائه وان بناءه كان في سنة ١٦٣٤ مسيحية وأن الوليد استعمل في تشييدها عددا من أسرى النصارى .

ليلة ضياع عظيمًا وطعامًا كثيرًا دعا إليه وجوه الدولة وأعيان مراكش ، وكان أخوه الشيخ عنده في الدار لا يتركه يخرج بحال ، وعزم أنه إذا انتقل نساء القصر بأمر الطعام وجوه خالف إليه وقته ، فكان من قدر الله أن المملوك قد عزموا في تلك الليلة على اغتيال الوليد فكمثوا له في الحجرة انتهى كان الشيخ محبوبا فيها ، ثم لما جاء الوقت واجتمع الناس في القبلة انتهى أعدوا لهم الوليد فام ودخل إلى الحجرة التي فيها الشيخ للفتك به فوجد العلاج كائين به هناك ، فلما رأهم قرع ، وقال : ، مالكم ؟ ، فرموه بالرماس ثم تناولوه بالخنجر حتى فاذا انتهى *

١٢٠

الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله



لما قتل السلطان الوليد في التاريخ المتقدم اختلف الناس فيمن يقدمونه للولاية عليهم ثم اجمع رأيهم على مبايعة أخيه محمد النسخ والقاء القيادة إليه فخرجوه من السجن ، وكان أخوه الوليد قد سجنه إذ كان يتخوف منه الخروج عليه ، فبيع بمراكش يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان سنة خمس وأربعين وألف . ولما بيع سار في الناس سيرة حميدة والآن الجانب للكافة ، وكان متواضعا في نفسه صفوحا عن الهفوات متوقفا عن سفك الدماء مائلا إلى الراحة والدعة متظاعرا بالخير ومحبة الصالحين ، وهو الذي بنا على قبر الشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي بزاويته قبة حافلة البناء راقية الصنع ، إلا أنه كان منكوس الرأية مهزوم الجيش ، وبسبب ذلك لم يصف له مما كان يد أبيه وأخوته إلا مراكش وبعض أعمالها

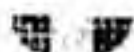
(١٥) راجع خبر هدية الوليد لعمرم الشريف سنة ١٠٤٢ في تاريخ مراكش ج ١ ص

٢٧٥ للتاريخي المراكشي

وقد ناز عليه رجل من مشوكه خارج باب الخميس من مراكش
وقاسى في محاربته تعباً شديداً ولم يزل يباينه القتال إلى أن كانت له عليه
الكرة ففرق جمعه ، ثم خرجت عليه أيضاً قبلة الشباطمة فقصدهم ، وكانت
الملافة به وبينهم عند جبل الحديد ، فانهزم مريسة شتاء . ثم حدث بينه
وبين أهل زاوية الدلائي ما يذكره بعدان شاء الله .

ومما ذكره موبل من أخباره : « أنه كان محمداً لساناً رعيته وكان
حاله على الصد من جور أخيه الوليد وعسفه » ، قال : « وسرح الغرابلية
الذين كانوا في سجن مراكش وأعضاهم الكيسة التي بالسجينة منها وحالفت
عليه سلا وأعمالها » انتهى

بقية أخبار أبي عبد الله العباسي بسلا والثغور وما يتبع ذلك



كان أمر أبي عبد الله العباسي بسلا وسائر بلاد المغرب على ما وصفناه
قبل من جهاد العدو والتضييق عليه والمصابرة فيه والابلاغ في نكاته فالتعش
به الاسلام وازدهت الايام ، ودخلت في طاعته القبائل والامصار من تامسنا
إلى نازا كما قلنا ، لاسيما فارس وأعلامها فانهم قد شامعوه وتابعوه على ما كان
يصدده من الجهاد والرباط ، وحصل لهم صحبة وولايه أنهم اعتناط ، ولم
يزل في نحر العدو إلى أن أمن سرب المسلمين وحق القول على الكافرين .



وفادة اعلام فاس واشرافها على ابي عبد الله العياشى بسلا



هذه الوفادة قد ذكرها الامام العلامة ابو عبد الله محمد بن أحمد
 ميارة الفاسي في فاتحة شرحه الصغير على « المرشد المعين » .
 قال في « نشر الثاني » : « وسبها ما وقع من الحرب بين أهل فاس
 وبين الحباينة وشرافة على قنطرة وادي سبو ، وقتل فيها من أهل فاس
 خمسة وأربعون رجلا ، فخرج شرفاء فاس وفتحوها اني سلا مستغيثين
 بأبي عبد الله العياشى » قال : وكان الذي اغرى الحباينة بفاس هو أحمد
 ابن زيدان الثغوي عليه وقاموا بدعوته ووصلوا أيديهم بشرافة وقتلوا بفاس
 وأهلها الأفاعيل حتى اضطروا في بعض الأيام نساءهم من الجنات وباعوهن
 في القبائل وفعّلوا بهن ما لا يجوز ، قال الشيخ ميارة : « قد من على دو
 العظيمة والجلال ، الكريم المتفضل المتعال ، بزيارة الولي الصالح ، العالم
 العامل النائح ، قلب الزمان وكهف الامان ، المجاهد في سبيل رب العالمين ،
 الم رابط في الثغور مدة عمره لحياطة المسلمين ، ذي الكرامات الشهيرة
 العديدة ، والفتوحات العظيمة الحميدة ، من لا تشبه له في عصره وما قرب
 منه ولا نظير ، ولا معين له على نصرة الاسلام ولا نصير الا الله الذي تعضل
 به علما ، واقره بمنه وجوده بين أظهرنا فهو كما قيل :

حلف للزمان ليأتين بعنقه حشيت يمينك يا زمان فكفر
 البركة القدوة ، المجاب الدعوة ، أبي عبد الله سيدي محمد بن أحمد
 العياشى أقي الله بركه ، وعظم حرمة وبلقه من خير الدارين آمين ،
 وأطال للمسلمين عمره وقواه ، وجعل الجنة نزله ومأواه ، مع جماعة من
 أعيان السادة ، من الشرفاء والفقهاء القادة ، وذلك أواسط ذي الحجة الحرام
 متم سبعة وأربعين وألف عام ، وهو وزقنا الله رضاه بغير سلا ، أمنها الله
 من كل مكروه وبلاء ، فاحتمت اذ ذاك بنجله السيد الموفق الرشيد ،
 العالم الهمام ، حجة الله في الاسلام ، ذي العقل الراجح ، والهدى الواضح ،

«عهد من الآيات توارثها الآباء» المتواضع الخاضع ، صاحب القلم البارح ،
سيدى وسندى أبى محمد عبد الله سلمه الله من كل مكروه ووفاء ، محصى
حفظه الله على اختصار الشرح المذكور ، يعنى : شرحه الكبير على المرتبة
المنعينة بعد أن طالع جله وسريه كل السرور ، وحث على فى تقديم ذلك
على جميع الأمور ، فلما قفنت من وجهتى سرعت فى ذلك تاركاً للتسوية ،
طالباً من المولى سبحانه السلامة من الخط والتحريف ، انتهى المقصود منه
قال فى ، نشر المثنى ، : « إن آيا عبد الله العياشى قدم فاساً ونظير
فى أمرها ونحراً عرب الحياة مراراً وانحن بهم حتى حضمو للطاعة ،

❦

إيقاع أبى عبد الله العياشى بنصارى الجديدة

سبب هذه الغزوة كما ذكره الفقيه العلامة قاضى ناسا أبو زيد عبيد
الرحمن بن أحمد الغامى الشاوى المعروف بسيدى ربحو الغامسى أن
نصارى الجديدة عقدوا المهادنة مع أهل آزموز مدة ، فكان من غزوة
النصارى وذلة المسلمين فى تلك المدة ما تنظر منه الأكيد ونحراً ليه
الاطواء ، فمن ذلك : أن زوجة بطانهم خرجت ذات يوم فى محفلها ومعها
سواجاتها إلى أن وصلت حنة العرب فلقاها أهل الحلة بالزغاريت والفرح ،
وضموا لها من الاطعمة وحملوا لها من هدايا الدجاج والحليب والبيض
شيئاً كثيراً فظلت عندهم فى فرح عظيم ، ولما كان الليل رجعت ، ووقعت
لها أيضاً : أنها أمرت القبطان زوجها أن يخرج بجيشه ويبحث انى فائده
آزموز أن يخرج بجيش المسلمين فلبسوا فيما بينهم ومضى تنظر انهم بقصد
الفرجة والزعة فكان كذلك ، فجعلوا يلعبون وهى تفرج فيهم فما كان
بأسرع من أن حمل نصرائى على مسلم فقتله ، فكلّم قائد المسلمين القبطان
وأخبره بما وقع ، فقال له القبطان : « فما يضركم ان مات شهيداً ، يهزأ
بالمسلمين ويسخر منهم ، قال : « وكان المولى الصالح العايد ، الناسك

الزاهد المجاهد ، رافع نواه الاسلام ، ومحبي منهاج النبي عليه الصلاة والسلام ، سيدى محمد العباسى كلما سمع شيئا من ذلك تغير وبنان لا يلد نعام ولا منام ، وهو يفكر كيف تكون الجنة فى زوال المصرة عن المسلمين بتلك الجهة وغسل اعراضهم من وسخ الاعانة ، وهو مع ذلك يخاف من العيون الذين يرصدونه من صاحب مراكن وفائد ازمور . ومن قبطان الجديدة ، اذ كان ما خلف وادى ام الربيع الى مراكن باقيا فى دعوة السلطان لم يدخل فى دعوة ابي عبد الله المذكور ، فمكت كذلك ثلاث سنين ، وما رأى أن الامر لا يزيد الا شدة او عجز الى بعض اولاد ذؤيب من اولاد ابي عزيز أن يجلبوا الى النصارى شيئا من القمح خفية وأن يكون ذلك شيئا قريبا حتى تطمئن نفوسهم ويدققوا حلالته ويؤمنهم النصح والمحنة ، فلما حصل ذلك حياء جماعة منهم واخبروه الخبر واطلعه على غرة النصارى خذلهم الله ، فعزم على قصد الجديدة ثم بدا له فى تقديم غزو المرائش ، ثم ياتى الجديدة بعة ، ففعل رحمه الله ، وكان ذلك اوائل صفر سنة تسع واربعين والاف

ثم عزم على قصد الجديدة المذكورة له أن وادى ام الربيع فى نهايته المد والاملاء فلم يفته عن ذلك وسار حتى بلغ الوادى المذكور على مشرع ابي الاعوان فوجدته مثلثا جدا لا يكاد يدخله احد الا غرق ، فقال لاصحابه وسائر من معه : « نوكلوا على الله واجتهدوا فى الدعاء » ثم اقتحم الوادى بفرسه وتبعه الناس ، فعبروا جميعا ولم يثأ منهم احد ، وكان الماء يصل الى قريب من ركب خيلهم ، مع أن مد ذلك الوادى حين امتلائه لا يدرك له فخر عند الناس كما هو شهير ، وهذه كرامة عظيمة وقعت له رضى الله عنه ، وكان القاضى أبو زيد التامى حاضرا بها وشاهدها ، ولم يقع مشغل هذا فيما علمناه الا للمصحابة رضى الله عنهم ، مثل ما وقع لسمد بن ابي وقاص فى عبوره دجلة لفتح المدائن ، ومثل ما وقع للملاء بن الحضرمي فى فتح بعض بلاد فارس ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ولما وصل ابو عبد الله الى الجديدة وجد طائفة من اولاد ابي عزيز

قد نذروا به ولجأوا الى القبطان خوفا منه أن يوقع بهم لاجل مهادنتهم
للكفار واتصالهم بهم فخرج القبطان في خيله ، وكان سيدى محمد كانت
بازاء الجديدة بالقابة التى كانت هناك وقد زالت اليوم ، فلما انفصل القبطان
بحيشه عن الجديدة حمل عليهم ابو عبد الله فقطعهم عنها ، ففروا الى جهة
البحر فوقع بهم فهلكوا ولم ينج منهم الا سبعة وثمانون رجلا ، فتغير
صاحب مراكش من ذلك وانكر ما صنع ابو عبد الله وكذا أنكره قاضيه
الفقيه أبو مهدى السكسكى .

وقد ذكر لويز مارية خبر هذه الواقعة فقال : « ان طائفة من المسلمين
تقدموا على قائد البرتقال بالجديدة وقالوا له : «انا قد جشاك من عند المولى
محمد بن الشريف يطلب منك أن تعينه بجعاة من عسكريك على بعض
عدوه . فاستفهم بذلك ، وكان شابا غرا لم يجرب الامور ، فنهض بعض
كبار عسكريه وحذره عاقبة القدر ، فأبى وعزم على الخروج مع اولئك
المسلمين . وتقاعد عنه عسكريه ، فقال لهم : « انى أخرج وحدى . وذهب
ليخرج وحده فتبعوه حينئذ ، وكانوا مائة وأربعين فارسا ، فلما انفصلوا
عن الجديدة بمسافة وجدوا جيلا كبيرة كاملة لهم ، فلم يشعروا حتى
احاطت بهم نصف دائرة منهم فما كلموهم حتى كملت الدائرة عليهم وصاروا
مركزها ، فحينئذ التفت قائد العسكري الى ذلك الرجل الذى نهض عن
الخروج وقال له : « ما الحيلة ؟ » فأجابه بان الحيلة : « القتال حتى نموت »
ثم أنشد له شعرا مضمنا : اتى أشرت عليك ، وأنت أعظم جاهامنى ، فلم
تسمع ، والآن تقتل معا وتخلط دماؤنا حتى لا يتيسر ان ولا يعرف دم
لالشريف من الوضع . والحاصل ان المسلمين أوقفوا بهم حتى لم يرجع منهم
الى الجديدة الا ثلاثة ، وأسر منهم خمسة عشر أحيا ، والباقي أتى عليه
القتل ، وقامت بالجديدة مناخة عظيمة لم يتقدم مثلها ، وسجن الاسارى بسلا
سجن فى بعض دهايزها حتى اقتدام سلطانهم خوان الذى جمع مملكتهم
من يد الاصبول ، انتهى .

ولما قدم سيدى محمد العياشى من هذه الغزوة صار الى فاس للنظر

في امرها لما حاج من الحرب بين أهلها ، وذلك أن رجلا منهم يقال له ابن الزين عدا على رجل آخر يقال له : احمد عميرة فرماه برصاصة من عليه مسجد فوق سوقة ابن صافي فقتله ، وهاجت الحرب بفاس بين أهل عدوة الاندلس ، وكان المقتول رئيسهم ، ومن الممطين ، فقدم سيدي محمد العياشي فسا في آخر جمادى في خمسين وألف فاضلح بشهم ، وأقاد من قاتل عميرة كبير الاندلسيين . وبالجملة فغزوان سيدي محمد العياشي رحمه الله كبيرة ، وذهبه عن الاسلام وحمانيته للدين مما هو شهير عند الخاص والعام .

وفي هذه الغزوة يقول الكاتب الادب أبو عبد الله محمد بن أحمد الكلاني مادحا لسيدي محمد العياشي ومثيرا الى انكرامة النبي وفتح له في عبور النهر :

حدثت العلا عنكم بسير به الركب ويقلعه في صحفه الشرق والغروب
وحبكم فرض على كل مسلم نال به الزلفى من الله والقسروب
فأنت رفيع من اصول رفيعة نجوم الدياجي في الانام لها سروب
سمى رسول الله تناصر ديسمه تجلى بكم عن أفقه الشك وانسروب
ولم أر بحرا جاوز البحر قبلكمس نجومود مستجد أنامله السحب
وما يستوى البحران عدى فان ذا أجاج لعمري في المذاق وذا عسذب
وكان رحمه الله عازما على أخذ العرائش فحال بينه وبينها الصرام
الاجل وكذلك كان ملحا على أخذ طلحة فلم تساعده الاقدار

مقتل أبي عبد الله العياشي رحمه الله والسبب فيه



قدما أن أهل الأندلس بسلا تحاربوا على أبي عبد الله العياشي ورموه عن قوس واحدة وأنه كان قد اطلع على حينهم ونصحهم بالكفر وأعلمه ، وأنه أسفنى العلماء فيهم فافقوه بإباحة قتال من هذه صفة ، فاطلق فيهم السيل أياما فقتل من وجد منهم وعرب أكثرهم فهربت طائفة منهم إلى مراکش وهربت طائفة إلى الجزائر وأخرى إلى الصاري وفرقة إلى راوية الدلاء ، فجاء أهل الدلاء يشفعون في أهل الأندلس فأي أبو عبد الله أن يقبل فيهم الشفاعة وقال : « إن أراى في استئصال شأقتهم فلما رأى أهل الدلاء امتناعه ورد شفاعتهم غصوا لذلك واجتمعوا على حربه ، ومن قبل ما كانت القوارص تسرى مهم إليه يدل على ذلك الرسالة التي كتب بها الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الأدلاني إلى أبي عبد الله العياشي ونصها : « الحمد لله الحليم العفو الرؤوف ، المترء عن صفات من وصف بها مؤف ، وعلى الله على سيدنا محمد مدينة العلم ، المسورة بسور المساحة والحلم ، وعلى مادائنا آله وصحبه ، وكل من انتظم في سلك أتباعهم من أهل حربه ، هذا ، وإن المجلى بنور طلعه ظلم الظلم والفساد ، المحلى خزائن المعالي بسوجات النفاق على حين الكساد المستوطن فيه بسويداء القواد ، من أقت إليه المكارم أزمة الانقياد وصلحت به بحمد الله العباد وأتيلاد ، حوطة الإسلام وحمايته ، وخديم الدين الحمدي وكفايته ، سيدي محمد بن أحمد العياشي المحمود الاوصاف ، بشهادة من بعد من أهل الانصاف ، زاده الله من المكارم أعلاها ، ومن نفائس درر المجد أغلاها ، وتوجه بتاج الكرامة والرضى ، وأمد بدائم مدده السرمدي حتى يرضى ، وسلم جنايه القدسي العلمي العمل المراطى المجاهدي من جمع البلايا ، واتحقه من تحفه القاضية للوهية بأعلى الزايا ، وأهدى إليه من طيب بركاته ورحماته ، ما يرضاه بدينه العلمي لحمانه ، قد شهدنا على أنفسنا بالافراد بفضلنا علينا ، وإن ما

يسره يسرنا وما يضره يضرنا ، علم ذلك ما يقيا من له معا ادنى مخالطة بحيث لا يمكنه ان يدفع ذلك بنوع من المعاظة ، وان الضرر بالعين ضرار بانسانها ، لكن النفوس الانسانية محل لحظها وسياتها ، ومن أفعاه لذيكم مقام الخادم والولد ، قد ساء ما ساءكم مما عنه ورد ، وطننا من جميل اوصافكم معاملته بالصفح والجميل ، فلن يزال الانسان الا من عصمه الله يستمال او يميل ، ونولا الحرارة ما عرف الغل ، ونولا الوابل ثقل النهاية في الظل ، وما عرف العفو لولا الاساءة ، ولا يقا صبر المرء الا فيما ساءه ، وما عرفنا صاحبه الا محبا لجانب كل من للمدين ينسب ، فان خرج عن نظركم فقد اتاد الغلط من لا يحسب . انتهى

وكان الشيخ ابن ابي بكر رحمه الله يطيل اشاء على ابي عبد الله العياشي ويذيع محاسنه وكان يقول في دعائه : اللهم اجزنا سيدى محمد العياشى افضل المجازاة وكافه احسن المكافاة واجعل مكافأتك له كشف الحجب عن قلبه حتى تكون اقرب اليه منه ، اللهم لا تحرمه توجيه اليك وانقطاعه خدمتك . اللهم نفس كريمة وكامل رغبته ، واجب دعونه ، وسدد رميته ، واردد له الكرة على من عداه في اخق انك على كل شيء قدير . انتهى

فهذا حال الشيخ ابن ابي بكر رحمه الله مع ابي عبد الله العياشى ثم قدر الله ان حدث بين اولاده وبين العياشى من الغيرة ما افضى الى المقاتلة وذلك بسبب رده شفاعتهم في اهل الاندلس وامور آخر فاجتمعوا على حربه كما قلنا ، فخرج اليهم ابو عبد الله العياشى فأوقف بهم وعزم جمعهم ، وفك بالعرب الذين كانوا مع النافى ففرقت الجموع ، وتبرأ التابع من المنسوع .

ثم ذهب ابو عبد الله العياشى الى طليحة بقصد الجهاد فلما قفل من غزوه وجد البربر من اهل الدلاء قد وصلوا الى اطراف أزغار ، ومعهم النافى والمدحيسى واهل حزبهم من الكدادرة وغيرهم ، وعزموا على مضادة ابي عبد الله فاراد ان يفض الطرف عنهم ويعرف عنائه عن جهتهم فلم يزل

أصحابه به إلى أن برر لقاتلهم فلما التقى اجتمعن كانت المدبرة على أبي عبد الله العياشي وقتل فرسه تحتة ، فرجع إلى بلاد الخلط ، وكان رؤساء الخلط أكثرهم في حرب الشعي وعلى رأي الكندارة ، فرجعت البربر إلى أوطانهم ، وبقي أبو عبد الله العياشي عند الخلط أياما ، ثم غدروا به فقلوه بموضع يسمى عين القصب وأحزوا رأسه ، وحمله بعضهم إلى سلا ، وكانه حمله إلى أهل الأندلس إذ هم أعداؤه بها قال في شرح المثنى : « ودفت جثته بأزاء روضة أبي الحسن رضي الله عنه »

ومن كراماته المتواترة أنهم لما حملوا الرأس سمعوه ليلا وهو يقرأ القرآن جهارا حتى علمه جميع من حضر فردوه إلى مكانه وتاب إليه جماعة من الناس ، وأما بقية النسوة إليه بقبيلة أولاد أبي عزيز من بلاد دكانة فالظاهر أنها متحدة على بعض معاهدة التي كان يأوي إليها أيام كونه بقبيلة المذكورة ، في ابتداء أمره كما مر ، وليس هناك قبر له على الصحيح ولما قتل أبو عبد الله العياشي فرح النصارى بمقتله غاية الفرح وأعصوا البشارة على ذلك وعملوا المفرحات ثلاثة أيام ، وكان مقتله رحمه الله تسع عشر المحرم سنة إحدى وخمسين وألف وقد رمزوا لتاريخ وفاته بقولهم : « مات زرب الإسلام » بإسقاط ألف الومل ، وحدث رجل أنه كان بالإسكندرية فرأى النصارى يومئذ يفرحون ويخرجون انفاضهم فسألهم فقالوا له : « قتل ساطو بالمغرب » وفي « الرحلة » لأبي سالم العياشي قال : « أخبرني الشيخ محمد الفزارى بعكة قال : كان بالمدينة المشرفة رجل مغربي من أهل القصر في السنة التي قتل فيها الولي الصالح المجاهد سيدي محمد بن أحمد العياشي قال : فجهاني ذات يوم وقال لي : « أسي رأيت في النوم اختي ورأيت رجلا جالسا مقطوع اليد تسيل دما » فقلت له : « من أنت ؟ » قال : « الأسلام » قطعت يدي بسلا » قال : فلما أخبرني قلت له : انذني يظهر لي من رؤياك أن الرجل الصالح المجاهد الذي كان بسلا قد قتل » قال : وبعد ذلك في آخر السنة قدم حجاج المنسرب فأخبرونا بموته »

وقد رثي رحمه الله بقصائد كثيرة منها قصيدة الاديب البليغ أبي
العباس أحمد الدغوي التي ذكرها في التزمية ، ويحكى انه وجد مقبدا
يخط أبي عبد الله العباسي المذكور ان جملة ما قتله من الكفار في غزواته
سبعة آلاف وستمائة وسبعون ونيف ، وما مدحه به العلامة الامام الشهير
أبو محمد عبد الواحد بن عاشر قوله :

يا حادي الاطمان في الرياني	ابلى سلامي فخرنا العباسي
من نوره بدا وفضله غدا	تحدو به الركبان والمواشي
طود الهدي عن الندي فردالوري	فريد وقته الامام الحاشي
لله سيف صارم وقاصم	ظهر العدا كيرهم والناسي
يتركهم عنه اللقا رهن التقا	صرعى على الارض كما الكباشي
يامسلمين تهنيكم حياتكم	ما عاش فيكم سيدي العباسي
أنا لا نلت الانام الكل في	طل الامان لين القراشي
يا عاذلي في حبه عذلك دع	ولا تحدثني حديث الواشي
انسي امرء بالحن مقنون وعن	جميع لوم لائمي عاشي
هديني الى الكرام ابرزت	سلامها للسامعين فاشي
وتناء الناس عليه كير فقد أنسي	عليه النسخ ميرة كما مر ، وابو

عبد الله محمد العربي القاسي ، وابن أبي بكر الدلائي وغيرهم
وكان رحمه الله مجاب الدعوة ما دعا الله في شيء الا استجيب
له شهود ذلك منه مرارا ومن ادعيته المحفوظة عنه : اللهم اني أسألك
باسمك السريع المجيب الذي خزن في قوائم رحمتك وخواتم ارادتك
وسرعة اجابتك يا سريع نون قصده يا قريب معن سأله يا مجيب من دعاه أسرع
لي بقضاء حاجتي وبلوغ ارادتي يا سميع يا مجيب يا سريع يا قريب
آمين آمين آمين يا رب العالمين ،

وكان قصيها مشاركا في الفنون وله اتباع ظهرت عليهم بركاته ولاح
عليهم سره ، ومن اتباعه : الشيخ ابو الوفاء اسماعيل بن سعيد الدكالي
القاسمي صاحب الزلوية المشهورة ببلاد دكالة ومن اتباعه أيضا : المقدم

المجاهد أبو العباس الحضرمي غيلان الجرفطي وقد ذكر ذلك الشيخ أبو عبد الله محمد بن ناصر الدرعي في رسالة كتب بها إلى المجاهد المذكور بقول فيها ما نصه : « من عبيد الله تعالى محمد بن ناصر كان الله له إلى الفارس القائم بصرة ابن الله البائع نفسه في أعلاء كلمة الله الحضرمي غيلان سلام عليهما ورحمة الله وبركاته ، وإني أحمد إليك الله الذي لا اله إلا هو ، أما بعد فإني أحب في الله وإن ناسي لهج بانتصرع إلى الله تعالى في نصرته على الكافرين مد خرج التجليز والباعث على أعلامك بهذا أمران أحدهما : قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه » والثاني : استهاض عمتك للمجد فيما انت بصدده من الجهاد وعدم الالتفات إلى ما تورط فيه عبرك من الاعتزاز بالنفسي ، فانت ما دعت في هذا على طريق الحلفة ، وعاد الله أهاليهم كلهم معك ، ورحم الله صاحبك الذي أسس لك هذه الطريق الصالحة ، ورباك عليها أعني أمير المؤمنين نور البلاد المغربية سيدي محمد العباسي جزاء الله عنا وإياك وعن المسلمين خيرا ، فهو سيدنا وسيد غيرنا الذي تدعى الله بمحبته ويجب علينا وعلى المسلمين تعظيمه وتعظيم من هو منه بسيل ، ثم قال الشيخ ابن ناصر رحمه الله بعد كلام ما نصه : « ونسوسى بأن سيدنا وسيد المسلمين في زمانه كافة خيرا سيدي محمد العباسي فهو عزك وتعتيهم قوام أمرك وهذا من نصيحتي إليك التي هي من نتيجة محنتك فماملهم بالوفاء ، ولا تؤاخذهم بالخفاء » انتهى المقصود منه .

وتولد سيدي محمد العباسي وهو الفقيه العلامة سيدي عبد الله أرجوزة فظم فيها أهل بدر وتوكل بهم إلى الله تعالى في هلاك الذين تعالوا على قتل أبيه ، فلم تمض إلا مدة يسيرة حتى دارت عليهم دائرة السوء ولم يسج منهم أحد .

وفي « البستان » : « أن أبا عبد الله محمد الحاج الدلائي دخل بلاد الغرب وذلك بعد مقتل أبي عبد الله العباسي فلقبه ولده سيدي عبد الله المذكور بجموع الغرب بوادي الضيق فوكت الحرب في قبائل وانتهت حللهم

ومواشيهم ، انتهى : وكان ذلك في اوائل ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين وألف

ولسيدي عبد الله ابن سيدي محمد العياشي في بعض زياراته لآبيه قوله :

أينما إليك وانفسنا تكاد من الخوف منك تذوب
ولم ندر أين هلاك الذي تحب فنحو إليه القلوب
أقمنا فحظنا وجثا فحظنا فمن خوفا قد دهننا خطوط
فها نحن من خوفا منك حيرى وهانحن من خوفا منك تيب
قال اليفرنى في الصلوة : واحبرني حافد العلامة قاضي القضاة ابو
عبد الله محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد العياشي ان جده سيدي
عبد الله المذكور كان قد اصابه مرض اعى الاطباء علاجه فلما نال عليه
أمره رغب منهم ان يحملوه الى ضريح الشيخ سيدي الحاج احمد بن عاشر
بسلا فلما وقف على الضريح اشد ارتجالا :

أقول لدائي اذ تقاسم امره وعز الدوا من كل من هو ناصري
الا فاتصرف بالله على اتسى انا اليوم جاز للولى اسن عاشر
قال فكانما تشط من عقال وانقم عنه سحاب ذلك الضرر في الحال ،
وكانت وفاة سيدي عبد الله المذكور ليلة عرفة سنة ثلاث وسبعين وألف
ودفن بجوار الولي الأشهر الشيخ ابي سلهم من بلاد الغرب وبنت عليه
قبة صغيرة ، واختار العياشين ومحاسنهم كثيرة وبينهم بيت خبر وصلاح
رحمهم الله ونفعنا بهم آمين



ظهور اهل زاوية الدلاء واوليتهم بجبال تادلا وما يتبع ذلك



اما نسبهم فهم من برابرة مجاض بض من ضهاجة حبيبا ذكره ابن خلدون وغيره ، وكان مبدأ امر اهل زاوية الدلاء ان جدهم الولي الأشهر سيدي ابا بكر بن محمد وهو المعروف بحمي بن سعيد بن احمد بن عمر ابن يسري المجاطي كان ممن اخذ عن الشيخ الطالح ابي عمرو القسطلي دفين مراكش وسكن الدلاء واتخذ هنالك زاوية ، فجاء ولده الولي الاظهر أبو عبد الله محمد بن ابي بكر فكمل من الفضائل ما بقي وابدى ممن الاسرار ما خفي فنافل الركان حديث هذه الزاوية وقصدها الناس من كل ناحية الى ان كان من اولاد الرحلين مسة ذكره .

واخذ الشيخ محمد (فحا) بن ابي بكر عن الشيخ ابي عبد الله محمد الشرقي فحصل له من الحظوة والوجاهة فوق ما كان لسائر من عاصره وكان اعلام الوقت كالحافظ ابي العباس المقرئ ، والحافظ ابي العباس بن يوسف الفاسي ، والامام ابي محمد بن عاشر ، والفقيه العلامة ابي عبد الله محمد ميارة وغيرهم يقصدون زيارته والبرك به ويراجعون في عويص المسائل العلمية ، وكان رحمه الله عالما حافظا دراكما متوسعا في علمي التفسير والحديث وعلم الكلام حسن المشاركة فيها وفي غيرها وكانت وفاته سنة ست واربعين والفس .

قال اليعربى : وحدثني غير واحد من اشياخنا انه لما دنت وفاته جمع اولاده وعشيرته وقال لهم : ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده ، واناقل لكم ، ولا من اغترف غرفة بيده ، يشير بذلك الى ما تجاذبوه من امر الرئاسة بعده وذلك من مكاشفاته رضي الله عنه ، وقد اعترض عليه بعض الطلبة في قوله : واناقل ، بأنه سوء ادب لمقابلة كلام الله بكلامه ، واجاب عنه حافده ، وهو الفقيه العلامة الشهير ابو عبد الله محمد بن احمد بن

المسناوى بن محمد بن ابى بكر ، رسالة مستقلة
ولما توفى خلف من الاولاد عدة فكان اكبرهم : ابو عبد الله محمد
الملقب بالحاج لانه حج مع ابيه ووحده مرارا ، ويقال : انه خلب الناس
يوم عرفة على ظهر الجبل لامر اقتضاه الحال ولم يكن ذلك لاحد من
اهل المغرب قبله . وفى أيامه تكامل أمر اهل الدلاء وشاع ذكرهم .
وكان للزاوية فى ابله وأيام ابيه صب عظيم وكان بها من معاضة
العلوم والدروب على درسها واقرانها وقراءتها ليلا ونهارا ما تخرج به
جماعة من صدور العلماء وأعيانهم كاشيخ اليوسى وأضراره ، حتى كانت
بها الرحلة فى المغرب لا يبعدها الطالب ولا يأمل سواها الرابع .
وتشهد الامر بها لابي عبد الله محمد الحاج وأولاده واخوانه وبني
عنه الى أن تملك مدينة فاس ومدينة مكناسة وأحوازهما وكافة القلطر
الصادلى .

قال فى «نثر المثنى» : وفى سنة ست وأربعين وألف كان قيام محمد
الحاج الدلائى على الشيخ ابن زيدان قلت : ولعل المكاتبه الاثنى ياتهما
بعد إنما كانت فى هذا التاريخ .

وقال فى «الستان» : «وفى سنة خمسين وألف رحل محمد الحاج
الدلائى بعساكر البربر الى مكناسة فلتولى عليها ثم زاد الى فاس
فاعترضه أبو عبد الله العياشى بجموع اهل الغرب ووقعت الحرب بينهما
فانهزم العياشى وسار محمد الحاج لحصار فاس فرجع العياشى وأعاد حربا
ثانية ، فانهزم محمد الحاج وعاد الى بلاده . وفى سنة احدى وخمسين
وألف بعد موت العياشى نزل محمد الحاج على فاس وحاصرها ستة أشهر
وقطع عنها المواد وجمع المرافق الى أن خفهم الجهد وارتفعت الاسعار

فدخلوا تحت حكمه * ولا قام اجتمعت عليه برابرة ملوثة وأذعنوا له
واعصوا عليه ، وقد كانت بينه وبين السلطان محمد الشيخ بن زيدان
وقعة أمي عقبة فانهمزم فيها السلطان المذكور وانتشر جمعه وذلك في سنة
ثمان وأربعين وألف ، ومن ثم قطع النظر عما وراء وادي العبد

ذكر ما وقع بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وبين اهل زاوية الدلاء
من المراحل والمعاربات

قال في « الترهة » : وفي أيام السلطان محمد الشيخ بن زيدان
قويت شوكة اهل الدلاء وانتشرت كلمتهم في بلاد الغرب ، وضمف الشيخ
عن مقاومتهم وعجز عن مقارعتهم ، وبث اليهم قاضيه العلامة الفقيه ابا عبد
الله محمدا المزوار المراكشي يطلب منهم ترك الشيشان والرجوع الى
اجتماع الكلمة ، ويحتج عليهم بان اباهم الولي الصالح سيدي محمد بن
أبي بكر كان قد بايع اخاه الوليد بن زيدان ، والتزم طاعته وانهم أولى
الناس باقتفاء طريقته واتباع منهاجه ، فلما بلغهم القاضي المذكور وادي
الرسالة ونزل مافي العبة وبين قصده اعتذروا اليه بمسائل وتعللوا بوجوه .
قال « اليفرنى » : وقد وقفت على رسالة كتب بها السلطان محمد

* ذكر سيدي عبد السلام القادري في كتابه المقصد الاحمد: أن محمدا الحاج الدلائمي
حاصر المعمورة وحضر معه في حصارها سيدي محمد بن عبد الله من الاندلسي وولد
سيدي أحمد ولم يذكر تاريخ الحصار المذكور واعله وقع عام ١٠٥٢ بعد استيلائه على فاس
ويشفي تحقيق هذا التاريخ بالمظان الاروية انظر المقصد ج ١ ص ٨٤ وحكى القادري
في النشر في حوادث سنة ١٠٥٧ خروج الناس للجهاد بعلق المعمورة قال: ثم رجسوا بعد
أيام ومات كثير منهم بمرض اصابهم من ماء شربوه هنالك اه وكنت وفلا سيدي محمد
ابن عبد الله من ثالث جمدي الثانية سنة ١٠٦٢

الشيخ المذكور اليهم بعد رجوع القاضي من السفارة وهذا نص القيدر
 المحتاج اليه منها بعد الخطبة ، وتصرف عن الغرض من عيشه لمسون
 العنايب والمقترض ، من هم لدقائق المجاز ضابطون ، وفي حقائق الجسوار
 ضابطون ، أهل وطن الدلاء لم هو نورود الشراب محتاج ، السيد ابو القاسم
 ابن ابراهيم والسيد ابو عمرو والسيد محمد الحاج ، ومن لشرف صف
 الانصاف منهم مطابق ، كالسيد الشاوي والسيد عبد الحلق ، ولا زائد
 لا قصد ايقاظكم من الفتوة التي طال كطلوع الشمس من المغرب ليها ،
 وامتد كارض المنجر فرسخها وميلها ، هل هذا منكم استخفاف بحضرة
 الخلائف او تعام وتعام عما يجب على الرعايا من لازم الوظائف ؟ هذا
 من العار الماحي لصفحة المنقب ، ولا يتولى بمن توحاه الا للمهيع الذي لا
 تحمد لمصلحة المواقف ، وعصوا منكم الذي شق عصا النفاق ، وشرع
 بعد ايدي الاطماع في استخلاص قبائل الافاق ، وكنتم لا تدرون لباس
 القمصان ولا الشواشي ، الى ان جسرکم على وطء الغرب فاحذكم معه
 المغتر محمد العياشي ، فبذتم موائد الضيوف ، وتقلدتم بلا حياء السيوف ،
 واعانكم اضطراب القبائل مع وقوع الجوع ، ومن مضى الى اي قلعر تعذر
 عليه الرجوع ، الى ان أمكنتم من ازمها الرعايا وكل غيبه من ربساط
 تازا الى وادي العيد ، فاستحلتم سكر الجبايات من الابرز والفضة الى
 ان جمعتم منه مالا ينحصر في عد ، بواسطة القرافي والمتصر من غير ان
 تنفقوه على اقامة جند ، ولا انتفع به الا اشباع المومسات وشياطين الفساد
 والشر ولم تراقبوا مكر من رفعكم عن غمار عموم الرابر ، وانعدكم في
 القباب على الاسرة وفي صوت الله على الكراسي والمناير ، عوتم علينا
 معشر الثوار كالذئاب من كل عراء وشعة ، لتكون عزيمة نهوضنا اليكم
 معطلة صعبة ، وان لا ندري أين تميل النفوس ، ألتلك الصحاري ام الى
 يبلغ السوس ، وهذا المغرب لا يخلو ملائ من نواميس كل كاهن ومدع
 فراق ، تسمى فيه اليومة خاملة وتصبح بالخبث والنقاد ، ومعادين الهمز
 واللمز والمجون ، هم أهل الزوايا والديارات والفسادق والاسواق

والسجون ، لكن من صفته يمينه لا يئس ، ومن ألقى يده الى التهلكة لا
 يسكن ، أهملناكم وأهملناكم لموائدكم من العادة والطعام ، فظلمتم لنا في
 الخلق عظاما ورعام ، لم تعلم الفقراء الا بحرمة جاء الدخيل ، على صلح
 أو زواج أو سماح البخل ، وحتى الآن دعوناكم لعقد البيعة الواجبة لنا
 على كل من أطاع أو عصى ، من وجدة الى حدود السوس الأقصى ،
 فنزهد لكم فيما يقوم بحق تلك الزاوية واهلها ، بشرط ان تبقوا من سنة
 الغفلة وجهلها ، وان أمسكم أقدام الاقياد عن سلوك سبل السداد وقبول
 موله ، فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، فقد شيعنا لكم فقيها وقاضيا أما
 عبد الله محمد المزوار . فصدتموه أرباب صد ، وانقلب عن المحاوراة
 مردودا أقبح رد ، لو لم نال بكم بالفكر والمذكر ، ما صرفنا فيما سلف
 بوصفنا الأمين مبارك السوسي ، فزيد ضريح السيد محمد بن أبي بكر ،
 فدنستم خالص عرضه فانه كان لكم علينا بريدا وبصرة ، بما انطوت عليه
 منكم غرة السريرة ، فقص علينا ، دون أن نفحصه . ان عين الجحش
 فراده ، ولا يسعنا ان ندعكم مع أشراف سجناسه وبنى موسى تلعبون بنا
 كهر الغالية في القفص ، لا يعطى غناه غنمه الا بوجيز المسال التي تكلفه
 الرقص ، وحاصل الغرض تأدية البيعة كما عقدها أبوكم الابر الحواد
 المرحوم الفاضل المجيد لاحنا الارضى مولاي الوليد ، لتتظم كلمة الاسلام
 في الاقطار ، اذ لو فعلتم لاقفئ أنركم جموع المنتجعين والامصار ، وان
 عظمت عنكم مفارقة ثقيل الرأس والبد والركية فانتظروا حبيحة طلوعى
 عليكم طلوع الفجر على غسق الليل ، بخضرم خضرم من الرماة والحبل ،
 ونؤم بعدكم دولة الاشراف الصحراوية وتلوى على زاوية الساحل الى أن
 تعود الايالة الشيخية علوية عالية ، بالصيت والذكر ، او تهوى الى حضيض
 بنى سعد بن بكر . انتهى .

وكان جواب أهل زاوية الدلاء عن هذه الرمالة ما حاصله باختصار : ولا زائد
 بعد حمد الله الا أن مسطوركم الاحرص لما ورد ساحتنا سلب الازهان

والعقود فلا جراحة إلا ونها حصا من التلحين ، فكذلك الخيال في تسقط
 التلحين فضلا عن الخلق ، فيه من حوت زجر لا يسي على عقول التلحين
 التلحين غرائب ثم يمر مرارها على أهل الدعر الأتني وأخبار ، لو شرح
 بها على جنة بعض أهل التقدير ، حتى سقا يتخلف في أسواق المدلية
 والهوان ، وما نحن إلا من زكن زكن من طرفه وصمة أو عمة وأنت
 تعمل بدين وأشارة الأعلاج المتجولين على طيائع الخداع والغش ، ونسبي
 على قواعد منكم بها من عريق ولا عش ، ومن الدليل التناهد والبرهان ،
 فنكهم بأخيك مع مشورة السوان ، على عيب من الجند والديوان ، فلا
 ندعهم يخدعونك وهم سبوا روح جسدك أنسى من غمد الجسد ،
 وحملوا بدنه في محلة من مد ، وأيم الله ثن داموا لك في الغرب
 بدانة تملقوا عليك تلاتا أوحاه . وأما نحن فيعة وأندة رحمه الله لسم
 نزل لنا في الأعناق ، ولا ينبغي أن تعاد فكر ، كالصغير لمن نحرر ، وأيضا
 معنا من تجديدها السلال البرير عن ساحنا فكون أقوى سبب لفطينا
 وأجلها هذا الأجدل الذي لا يؤده سموم الليالي ولا حرارة قيط المصيف ،
 مولانا محمد بن مولانا الشريف ، عقاب أشهب على فة كل عفة لم يقعه
 عد المال دون حسم الرقة ، وربما غرتنا غفلة فيشن العسارة على شموپ
 شعاب ملوية ، أو ينشر جبوته على رباط تارا بالرايات والالوية ، سيما
 وجناحه ذوو النفوس الثقيلة ، برير سنهاجة وعرب دخية ، بتراة
 الزوان ، بالحلة والمحل والغزوات ، والعياني كما تعلمون كانت عمة
 هجرته أولا مله أهل الشرك ، ثم مد خطا العزم الى درجة الملك . وأما
 وسيفكم الأمين مبارك السوسي فحيث اتاح علينا ككسل الإقامة لاختطاط
 ضريح الوالدين رحمهما الله فمنا بوظيف حقه الظاهر والباطن ، حيث
 اختبر بعين الحقيقة أرجاء أغوار المواضع ، ولأنك أن حال مطالعة عني
 اتني أرخصت لنا في سوق خواطرهم الأسعار ، الى أن نصيتم لنا بعد
 الرضا حبال الأذعار الحامية للعار ، وجد قبائلنا متبددة على ضمم جوب
 الصيف ، وأعيانهم مقتدين على الجبول بدون رمح ولا مدفع ولا سيف ،

فخالهم على عرة غيمة باردة ، وما علم أنهم أغوال النيل صادرة وواردة ،
 فان كانت معاينته هي التي أطمعتك أن يعودوا بعد الغز نوابي فما درى أن
 نه كان الخاوي الخائب ، من ركب الخيل لنفسه دون راتب المخزن ،
 لا ترضى همته أن يهان فيحزن ، وفاضيك السيد محمد المزوار حيث عاين
 وفود الافاليم منتشرة كالجراد على الازقة والادراب دون من لازم خدمه
 الابواب ، تحقق عيانا ان انتظام شمل المالك والمملوك لا يكون الا على عظماء
 الملوك ، تقص عليكم وعلى من حضر ما اعتقد وسمع ونظر ، وحتى الان
 ان قصدتم الغرب أو حصن قاس لا تالكم من جانبنا فسياسة ولا ياس ،
 فبعد أن يكون لكم في المدينة البيضاء الجديدة والقديمة قرار ، يكون لنا
 بعد ذلك حكم الاختيار ، بين أن نؤمن لك أو نترك لك الديار ، أو
 نستصرخ بمن هو مثلك شريف حقيقى وسليطان ، له شغل أكثر منك
 في ضبط الاوطان ، فنقابل اذذاك القصوره بالساط ، ونلقى مطانة من شاط
 لاسنان الامشاط ، أيهما للغرب غلب ، نؤدى له على الرغم ما طلب ، وان
 فنت بحوز الحمراء من مراكنس ، ورفقت عنك معانة للهراس والتناوش ،
 فدعنا ومراعاة من تجارته الرئاسة ، وعبئه اشترائه نفيس السياسة
 ضرغام غاب سجله . وأما صاحب ايليج السوس فما مراده
 ومراد ذويسه الا غيمة سلامة الاعراض وتجارة سلب النفوس .
 وفيما تلوناه عليك من القصص كفاية فثن غادرتنا مسترين في حرمة
 الاحترام والوقار فتم ، وان زاحمتا بتكب الهوان بدافلك عنا من ادعى
 انه زعم ، وان طرقنا مناخ عزمك على عبور وادى العبيد او ام الربيع ،
 فهناك بجمع الله بسين من يشترى ويسع ، والسلام . وكتب عن اذن جمهور
 اخوته عبد الله المساوي ابن محمد بن ابي بكر الدلائي في يوم الاحد
 الثاني والعشرين من رجب انتهى

ولما رأى السلطان محمد الشيخ بن زيدان تعاضى أهل زاوية الدلا
 عليه واستحكام امر الغرب لهم وتقويهم بالعدد والعدد صرف عنائه عن
 مقارعتهم ومال الى مسالمتهم وقطع النظر عما فى أيديهم والامر كله لله .

ذكر ما دار بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وبين الأمير

المولى محمد بن الشريف رحمهما الله تعالى

السلامة

كانت اتصالات والمراسلات قم بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان السعدي وبين الأمير المولى محمد بن الشريف السجلسمسي ، فمن ذلك رسالة بعث بها السلطان المذكور إلى الأمير المذكور فكان من فصولها ان قال له : « ويلقى اليك تعلق في الوادي من الخواضر والنبوادي : ان جرثومة السمات لبني سعد بن بكر بن هوازن ، مع انها في بني نزار بن معد واصبة المكاييل ثقيلة الموازن ، واتنا من تيدسي أحد القصور بوادي درعه ، ومنها انت الله امك قزهر عصه واتر فرعه ، فلتن كان غرضك حط منطقة قدرنا من اللب فهذا من العلى عليك عار ، وان نحاول محو من صحيفة النسب ، فلك دعوى لا تغنى او ترخص أسواق الاسعار ، وقد صرفنا اليك نسخة من «مناهج الصفاء في أخبار الشرفاء» ليطلع عليها انصارك من الملوك فيزول ما بالخاطر من اشراك الشكوك .

فاجابه المولى محمد بن الشريف عن هذا الفصل بأن قال له : « وعنايبكم اننا عزوناكم لبني سعد بن بكر بن هوازن بن منصور ، ونشرون لذلك في الجبل والمدن والقصور ، تالله ما فهنا بذلك عن معايرة لكم ولا جهيل ولا بان نضيفكم لمن لا عشيرة له ولا اهل ، بل اعتمدنا في ذلك بحمد الله على ما نقله الثقات المؤرخون لاختيار الناس ، من علماء مراکش وتلمسان وفاس ، ولقد ائمن الكل التأمل بالذكر والفكر ، فما وجدكم الا من بني سعد بن بكر ، ولا معول على كتاب المنصور من القشائفة ، ولا ابن القاضي المكاسي ، ولا ابن عسكر الشريف الشفشاوني ، وسواهم ، اذ الكل اهل بساطكم ، ومحل مزاحكم وانباطكم ، ولقد بلغنا نسخة «مناهل الصفا» فلم نجد فيها موردا عذب وجفا ، وكفى دليلا بالباطن والظاهر ، قول الثقة مولانا عبد الله بن طاهر ، ومع هذا فلم نعتقد دفعكم عن شرف

النسب ، ولا رفعكم على ما وسعكم الله به من زينة الحسب ، انتهى الغرض
من هذه الرسالة . واثار بقوله قول الثقة مولانا عبد الله بن طاهر الى مس
اتفق له مع المنصور حين جالسه على المائدة وقال له المنصور : « أين اجتمعنا »
فقال له ابن طاهر : « على هذا الخوان » والحكاية قد مرت في صدر هذه
البذلة السعدية

ومما كتب به السلطان محمد الشيخ بن زيدان للامير المذكور ايضا
وذلك حين غلب المولى محمد على فاس وملكها ، فكب اليه السلطان المذكور
يحذره من غائلة أهل الغرب وعذرهم برسالة من انشاء وزيره القائد أبي
عبد الله محمد بن يحيى آجانا وفي آخرها قصيدة من انشاء القائد المذكور
وهي :

يا شبل مولانا الشريف محمدا	شمس السعادة والهلال الاكمل
ملات مهابتك الكبيرة مقربا	فرحت بشرقك اصهبان وموصل
مقر العياشي على الاعادى حائل	طورا يفر وفي الملاحم سيل
انيابه البيض الحداد مسوادم	وبكل ظفر منه أتر مقصل
فجناحك الجرد الصاق وان تفر	ت الى تلمسان يطيش الشمائل
هابتك نوار الاقالم غصوة	والوحش فهي يخص منها المهمل
قد طبت ان عرفت عروقك في الوغا	خلت العنابر ديسف فيها المنديل
يا مالكا سعدت به اوطانك	فيما مضى وزها به المستقبل
نادى بك النصر العزيز لغرب	ولكم على فاس الجديد الكلكل
فاحذر كما حذر الغراب ولا تكن	كالبط يلفس عن مطاه القوقل
واعدل تفوز ولا تواخي طامعا	ترد للعداة وتمم عنك العذل
لا تصد من جبل البرابر واصطبر	حتى يهون على الجواسيس مدخل
لا تأمن الاعراب في اقوالها	واقمع فضاة من يجور ويمقل
وعليك بالنارات في اوطانها	بكتاب تصبى الاناث وتقتل
واغضض ولا تردى تجار مدائن	يقي عليك السر دأبا يسيل
لا تعف من نحن فاس صاحب	أو حاكما يعل الامور ويفصل

كالبل عاداته انفراد ولن خدا
لا تقفن الى الصحارى ذخائرا
واضرب بيت الملك أوتاد الدها
الف وقود الغرب واعرف قدرها
وابسط يدك على العيال هينة
هذى وصايا قد أضاع حقوقها
فمتى نشد الى المعالي رحالنا
فرحنا متبعين أحكام القضا
فاجابه المولى محمد بن الشريف
بقصيدة ختم بها جوابه من انشاء الفقيه ابي عبد الله محمد بن سودة
الفاسي ونسها :

امحمد الشيخ بن زيدان الرضا
فلقد اجبتك عما قد كاتني
انسى ابث لكم وصايا جمعة
فالى منى طول الرفاد اما ترى
والدهر ينف في رياش جناحك
ما من عليك ذاق لذة راحة
أحرى الذي كرت شقا نواره
تحتال تخدعه بكل حيلة
فاستيقظن من الحمار ومن رعى
وانفض غبار الذل واخلع ثوبه
ضمت ملكك في الرخا وتركه
وركت للقلل الوريث وغادة
واذا اردت دوام هبة همة
دع عنك في الحمرا مروق سقرجل
واركب مطايا الصافيات الى الوغا
فخر الخلائف والهمام الاكمل
نظما ونرا كي ترى ما يمثل
ار انت للنصح المصريح تقبل
أضمان ملكك كل يوم ترحل
ويدنس من الصفا ما تغسل
الا تجلى له الهوان فيسفل
يموى عليه لكل عاد معقل
حتى يصاد كما يصاد النمل
فى أرض آساد الثرى لا يغفل
يزداد وجهك بهجة وبهليل
للخزى فى دار الهوان يذل
يزهو البديع بها اذا ما ترفل
وتدوم فى ستر عليكم يسبل
ومدربلا بالزعفران يفتل
اما تحور مزينة او تقتل

ولا فرغ طيولا للرعاة وفي الوغا
 وخض القفار وحز رمحا وادرع
 خاطر بنفسك في القياقي جائلا
 واحطد نهارك بالسلاق ويمدعا
 وقد الجيوش كما الوحوش ولا تدع
 جنب آجاس الجين في تدبيره
 لا تجتمعن من الطلوج بطانة
 اما الشيانة فاحذرن من غيها
 ترجو عواقب دولة لنفوسها
 يسطف عليك الدهر بعد تقوره
 ما ذاق زيدان ابسوك حلاوة
 فاذا امتلت صواب صدق وصي
 يجبي الى الحرب الموان الجحفل
 واثن العنان وفي يمينك متصل
 تردى العدو وكل ليل منزل
 عقباتها وكذلك قصر اجدل
 من بعض أمرك وازجرنه فيفعل
 واصحب شجاعا للذخائر يذل
 فطباعها القدر البليغ الاعجل
 لا يد تقدر بالاخير وتخذل
 وتود من وافى جنابك يحفل
 تعود ايام السمود وتقبل
 من ملكه حتى غذاه الحنظل
 يعنى الزمان لكم ويصفو المهمل

واعلم ان هذه الرسائل والاشعار التي ابتناها هنا نازلة كما ترى
 عن درجة البلاغة ، وعادة لما تستحقه من فن الوزن ونقد الصناعة ، ولكن
 لما كان الكتاب كتاب تاريخ واخبار ، لا كتاب ادب واشعار ، لم نبال بذلك ،
 اذ كان المقصود منها ما تضمنته من بيان الاحوال ، والافصاح عنها على اصح
 منوال ، فان هذه الرسائل هي عماد التاريخ وملاكه ، ونازلة منه بالحصل
 الذي نزلت من الدر اسلاكه ، فلذا اكرنا منها في هذا الكتاب .
 والله تعالى الملهم للصواب



وفاة السلطان محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله

كانت وفاة السلطان محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله سنة أربع وستين وألف ، وفي شهر الثاني ، أنه توفي قبلاً سنة ثلاث وستين وألف ودفن بقبور الأشراف من قصبة مراكش في روضة أبيه وعشيرته وما نقش على رخامة قبره قول القائل :

لبدر سموات المعالي أقول وفي ذا الضريح كان منه نزول
محمد الشيخ بن زيدان غالي حمام قحزون العالمين طویل
امام الانام ذو العاتر قطعه له غرة في الصالحات جميل
جاءه اله العرش رضى تحفه بما هو في الفردوس منه كفيل
وزرأؤه : يحيى آجانا وولده محمد وغيرهما ، وقطاه : ابو مهدي
عيسى بن عبد الرحمن السكتاني ، وابو عبد الله محمد المزوار رحم
الله الجميع

الخبر عن دولة السلطان ابي العباس احمد بن محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله

لما توفي السلطان محمد الشيخ في التاريخ المتقدم بوج ابنه ابو العباس أحمد ، والعامه يقولون مولاي العباس بدون لفظ الكنية ، وقام مقام ابيه في جميع ما كان بيده إلا ان حى الثبات ، وهم اخواله ، قوت شوكتهم في ايامه وغلظ امرهم عليه ، ووثبوا على الملك وراموا الاستبداد به ، فضائقوه وحاصروه بمراكش اشهرًا

ولما رأت امه ان الامر لا يزيد الا شدة كلبته في ان يذهب الى اخواله وبأخذ جلوبهم ويزيل ما في نفوسهم عليه ، فذهب اليهم فلما تمكنوا منه قتلوه غيلة ، وأقبلوا الى مراكش مسرعين وبايعوا فيها لاميرهم عبد

الكريم بن ابي بكر الشيباني ثم الحريري كما سيأتي
 وكان مقتل السلطان أبي العباس رحمه الله سنة تسع وستين وألف
 كذا في «الزهر» . والذي في «نشر العتاني» : أنه قتل سنة خمس
 وستين وألف والله أعلم بنية
 قال البيهقي رحمه الله وقد أذكرت في هذه الفعلة قول المولى محمد بن
 الشريف في قصيدته السابقة :

أما الشبانة فاحذرون من غيها لا بد تغدر بالآخر وتخذل
 فإن الأمر وقع كما قال ، مع أن المولى محمد بن الشريف كتب
 بالقصيدة المذكورة للسلطان محمد الشيخ في سنة تسع وخمسين وألف ، وغدر
 الشبانة للسلطان أبي العباس كان سنة تسع وستين وألف ، ولعل المولى
 محمد بن الشريف تلقى ذلك من بعض أهله انكشف أو تحوهم ، فإن
 كلامه كثيرا ما يقع فيه مثل هذا ، وبمهلك السلطان أبي العباس رحمه
 الله انقرضت دولة السعديين من آل زيدان ، وانهار جرفها وانطوى
 بساطها ، وسبحان من لا يبدل ملكه ولا يزول سلطانه لا اله الا هو
 العزيز الحكيم .

الخبر عن دولة الشبانة بمرأ كش واعمالها

وما آل اليه امرها من دثورها واضعلالها

لما قتل السلطان أبو العباس أحمد بن محمد الشيخ بن زيدان في
 التاريخ المتقدم نار كبير حي الشبانة بمراكش من عرب معقل ، وهو
 الرئيس عبد الكريم بن القائد ابي بكر الشيباني ثم الحريري ، وحرير
 فخذ منها هي النبعة والصميم فيها ، وعبد الكريم هذا يعرف عند العامة
 بكروم الحاج ، فدخل مراكش ، ودعا الناس الى بيعته فباعوه بها سنة
 تسع وستين وألف ، وانتظمت له مملكة مراكش وتوابعها ، وسار قسما

الناس سيرة حميدة ، وكان في أيامه الغلاء المؤرخ بعام سبعين وألف ، وهو غلاء مفرط بلغ الناس فيه غاية الضرر حتى أكلوا الجيف ، ونم يزل مستقيم الرأي بمراكش الى أن توفي بها سنة تسع وسبعين وألف قبل أن يدخلها المولى الرشيد بن الشريف بأربعين يوما .

وقال منوبل : لما بايع أهل مراكش عبد الكريم الشانئ خالفت عليه آسفى وأعمالها فغرامهم ثم رجع مفلولا الى مراكش ، وكانت المجاعة المشهورة عقب ذلك ، ثم قتل بعض اجناد دخل عليه قطعته برمح فأنبله ، ثم قبض على القاتل وقتل أيضا في الحين ، ولما توفي بايع الناس ولده أبسا بكر بن عبد الكريم فقبى الى أن قدم المولى الرشيد ونقبض عليه وعلى عشيرته قتلهم ، ثم تسع الشانئ فقتلهم قتلا وأخرج عبد الكريم من قبره فأحرقه بالنار ، وانقرضت دولة الشانئ والبقاء لله وحده .

ولنذكر ما كان في هذه المدة من الاحداث فنقول :

في سنة ثلاث عشرة وألف في ثمانى عشر محر : منها توفي المولى الكبير أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الحسن الخالدى السلاسى المعروف بابن حصون نسبة الى جده الحسن المذكور ، وهذا الشيخ هو دفن سلا الشهير بها أصله من سلاس مدشر على مرحلة من فاس ، ثم انتقل الى سلا ، وسبب انتقاله اليها : أنه كان بين أهل سلاس حروب ومقاتلات فكان الشيخ أبو محمد عبد الله اذا غلب أهل مدشره فرح واذا انهزموا حزن ففكر في نفسه وقال : « حجة الخليفة تستدعى حجة الشر للمسلمين وعلى عهد الله لا جلست في موضع أفرق فيه بين المسلمين وأبغى الشر لهم » فارتحل الى سلا . ولما استقر بها أتاه جماعة من عشيرته يراودونه على الرجوع الى بلادهم وحثوا عليه في ذلك فأخذ قدحا وملاء من ماء البحر ووضعهم ثم قال لهم : « ما بال ماء البحر يضرب بعضه بعضا وتلاطم أمواجه وما لهذا الماء الذى منه فى القدح ساكن ؟ » فقالوا له : « لانه لم يبق فى البحر » فقال لهم : « الغربة تصفى وتسكن » فعلموا مراده وانصرفوا آيسين ، قلت : وفي انتقاله من سلاس الى سلا اشارة لطيفة وهى ان لفظ

ملاس باعتبار تحكيكه سلو موصول بحرف السين وهو حرف ذو قرون ثلاثة متشعبة فيؤخذ منه بطريق الإشارة انه سلو موصول بكدره ، بخلاف لفظ ملا فانه سلو محض ، وقد قدمنا في أخبار ابن الخطيب رحمه الله أن مدينة سلا كانت مقصدا للعباد واهل الخلوة والاعتقاد من لدن قديم ، أخذ الشيخ ابن حصون عن أبي محمد الهبطي عن أبي محمد الغزواني عن التباع عن الجزولي رضى الله عنهم ، وكان صاحب أحوال تهدي اليه التياب الرفيعة فيأمر بها فلقي في بيت سدود تبقى فيه حتى يأكلها السوس وتضيع ، وكان كل يوم يصح على بابه ارباب الآلات بالطلول والابواق يضربون عليه النوبة وغير ذلك ، وقد تكلم عليه الشيخ اليوسى فى المحاضرات وحمله محملا جميلا ، وكرامات ابن حصون كبيرة شهيرة نقدا الله به وبأهله .

وفى السنة المذكورة فى ربيع الاول منها توفى الشيخ العارف بالله تعالى العالم الربانى أبو المحاسن يوسف بن محمد الفاسى جد السادة الفاسيين ، وأخباره ومناقبه شهيرة قد تكفل بسجلها كاتب . مرآة المحاسن ، لابنه العلامة أبى عبد الله محمد العربى الفاسى الموضوع لهذا القصص بالخصوص .

وفى سنة أربع عشرة وألف كان الغلاء العظيم بفاس ، قال صاحب المنع ، فى ترجمة الشيخ أبى عبد الله محمد بن حكيم الاندلسى : انه اعتراه ذات يوم حال فجاء الى بعض أقران فاس وجعل يقول لصاحب القرن : أغلق قرنك ، أغلق قرنك ، ويصيح به فاذا بالغلاء العظيم حدث عقب ذلك ، وهو غلاء سنة أربع عشرة وألف فتعطل ذلك القرن وغيره من أقران المدينة ، وكان يمر بالطرقات فيقول : والناس يأكلون عن أولادهم ، ويكرر ذلك على جهة الإنكار فجاء الغلاء المذكور فكان الناس يأكلون فى الأسواق عن أولادهم ولم يكن يعهد الأكل بالأسواق قبل ذلك .

وفى سنة خمس عشرة وألف فى ثمانى جمادى منها جاء بفاس سيل

عظيم حتى غمر دور عمل الفخارين وذهب بعض أنادر الزرع وحمل أمة
من باب القسوح فمات .

وفي سنة اثنين وعشرين وألف حدث الشر بفاس ووقع الغلاء
حتى بيع القمح بأوقيين وربع للمد ، وكثرت الموتى حتى أن صاحب
المارستان أحصى من الموتى من عيد الاضحى من سنة اثنين وعشرين
وألف الى ربيع النبوى من السنة بعدها أربعة آلاف وستمائة ، وخربت
أطراف فاس وخلت المداشر ، ولم يبق بلمطة سوى الوحوش .

وفي سنة ثلاث وتلاثين وألف وذلك عند فجر يوم السبت الثانى
والعشرين من رجب منها حدث زلزلة عظيمة بفاس ، ذكر صاحب المنعم
فى ترجمة ابي عبد الله بن حكيم المذكور آنفا : انه كان قبل الزلزلة
المذكورة يصيح : المردومات المردومات ، فاذا بالزلزلة حدث ، قال : فما
بقيت دار من دور فاس غالبا الا دخلتها القوس .

وفي خامس شعبان من السنة المذكورة نزل برد عظيم قدر يسقط
الدجاج وأكبر وأصغر ورى حجر عظيم منها نزل على خيمة فخرقها وفر
أهلها عنها وبقي لم يذب نحو ثلاثة أيام .

وفي سنة ست وثلاثين وألف توفى الامام العارف بالله تعالى أبو زيد
عبد الرحمن بن محمد القاسى المعروف بالعارف بالله وهو اخو ايسى
المحاسن المذكور آنفا ومنافه شهيرة أيضا .

وفي السنة المذكورة كان الغلاء بفاس والمغرب .

وفي سنة أربعين وألف عشية يوم الخميس ثالث ذى الحجة منها
توفى الشيخ الامام العلامة الهمام أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي
ابن عاشر الانصارى نسباً الاندلسى اصلاً القاسى منشأ ودارا الفقيه المشهور
كان رحمه الله له الباع الطويل فى المشاركة فى العلوم مع غاية التحرير
والتحقيق وله التأليف الحسان التى أغنى فيها عن الخبر الميان ، وكان ورعا
سنيا وكان لا يتخذ القراء على جنائز أقاربه ويقول : بمعنى من ذلك أنهم
يفسدون قراءة القرآن وقراءتهم تلك عذر فى التخلف عن الجنائز .

وفي سنة اثنين وخمسين وألف توفي الشيخ الامام أبو عبد الله محمد العربي بن أبي المحسن يوسف القاسي كان رحمه الله متقياً عالماً له عناية كبيرة بتحصيل المسائل ونفيها ، والاطلاع على غريبها وشريعتها ، وهو صاحب « مرآة المحسن » وكان جوالاً في بوادي المغرب وحواضره حتى أدته خاتمة العظام الى مدينة تطاوين فالتقى بها عصا السبار التي أن توفي في السنة المذكورة ثم نقل ثلثي فاس بعد سنتين فوجد طريقاً رحمه الله .

وفي سنة ستين وألف كان بالمغرب رخاء مفرط وغلاء مفرط وبلغ صاع البر بمدينة سلا مثقالاً وكاد يعدم بالكلفة وهو غلاء لم يعهده مثله وانتشر الفساد في البلاد وحل بالمغرب وباء كبير حتى كان الناس يموتون في كل طريق رجالاً وساء نساء نساء الله العاقبة .

وفي سنة سبعين وألف كان الغلاء المفرط بالمغرب لاسيما بمراكش وهذه السنة هي المعروفة عند العامة بسنة كروم الحاج لا زالوا يضربون المثل بغلائها الى اليوم والله تعالى يحفظ المسلمين ويحلهم من كنفه في حصن حصين آمين .



تم الجزء السادس ويليه الجزء السابع

وأولاه :

الخبر عن دولة الاشراف العلويين من آل علي الشريف وذكر نسبهم وأوليتهم

فهرس الموضوعات

- ٣ الحبر عن دولة السلطان أبي اسمعالي زيدان بن أحمد رحمه الله تعالى
- ٤ انحراف مراكنش عن طاعة زيدان وبعثهم لابي فارس وما نشأ عن ذلك من الفتنة
- ٥ بنهوض السلطان زيدان لحرب أبي فارس وانتهزاه يوم اربع ثم فراره الى تلمسان
- ٦ بنهوض عبد الله بن الشيخ لحرب عمه أبي فارس واستيلاؤه على مراكنش
- ٧ مجيء السلطان زيدان الى المغرب واستيلاؤه عليها ومطرده زيدان عنها
- ٨ صعود عبد الله بن الشيخ الى مراكنش واستيلاؤه عليها ومطرده زيدان عنها
- ٩ ثورة محمد بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد الشيخ وانقراض امره وعود زيدان الى مراكنش
- ١٠ خروج جالية الاندلس من غرناطة واعمالها الى بلاد المغرب وغيرها
- ١١ استيلاء السلطان زيدان على فاس وفرار الشيخ بن المنصور عنها الى العرائش ثم الى طلمبة الاصبول
- ١٢ صعود عبد الله بن الشيخ الى فاس واستيلاؤه عليها ومقتل مصطفى باشا رحمه الله
- ١٦

- ١٧ تلخيص خبر أبي فارس ومقتله رحمه الله تعالى
 عود السلطان زيدان إلى فارس واستيلاؤه عليها ثم اعراضه عنها
 ١٨ سائر ايامه
 ٢٠ استيلاء نظاري الاصينول على العرائش والسبب في ذلك
 ٢٢ بقية أخبار الشيخ ومقتله رحمه الله وتجاوز عنه
 ٢٤ رياسة وفي الله تعالى أبي عبد الله سيدي محمد العياشي على
 الجهاد ومبدأ امره في ذلك
 ٢٦ ثورة الفقيه أبي العباس أحمد بن عبد الله السجلماسي المعروف
 بابي محلي
 ٣٠ نهوض ابن أبي محلي إلى سجلماسة ودرعة واستيلاؤه عليها
 ثم على عراكس بعدها
 ٣٢ استعراج السلطان زيدان أبي زكرياء يحيى بن عبد المنعم
 الحاحي ومقتل أبي محلي رحمه الله
 ٣٥ بقية أخبار أبي زكرياء يحيى بن عبد المنعم الحاحي وما دار
 بينه وبين السلطان زيدان رحمهما الله
 ٥٢ العطف إلى خبر عبد الله بن الشيخ بقس وانتوار القالبين
 بها وما تحلل ذلك
 ٥٧ ثورة محمد بن الشيخ المعروف برغودة على أخيه عبد الله بن
 الشيخ وما وقع في ذلك
 ٥٩ وفاة عبد الله بن الشيخ
 ٥٩ بقية الحصة بجامع القرويين
 ٦٠ ثورة أبي زكرياء بن عبد المنعم بالسوس ومقاتلته لأبي حمون
 السجلماسي المعروف بابي دميعة على تارودانت
 ٦٩ بقية أخبار السلطان زيدان وذكر وفاته رحمه الله

- الحبر عن دولة السلطان أبي مروان عبد الملك بن زيدان
 ٧٢ رحمه الله
- ظهور أبي عبد الله العياشي بسلا ومباينة أكابر عصره له على
 ٧٣ الجهاد والقيام على الحق
- بقية اخبار السلطان عبد الملك بن زيدان ووفاته
 ٧٧
- الحبر عن دولة السلطان أبي يزيد الوليد بن زيدان رحمه الله
 ٧٨ ظهور أبي حنون السملاني المعروف بأبي دميعة بالسوس
- ثم استيلاؤه على درعة وسجلامة واعماثهما
 ٧٨
- بقية اخبار السلطان الوليد بن زيدان ووفاته رحمه الله
 ٨٢
- الحبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ بن زيدان
 رحمه الله
 ٨٣
- بقية اخبار أبي عبد الله العياشي بسلا والتغور وما يقع ذلك
 ٨٤ وفادة اعلام فاس واشراقها على أبي عبد الله العياشي بسلا
- ٨٥ إيقاع أبي عبد الله العياشي بتصادي الجديدة
- ٨٦ مقتل أبي عبد الله العياشي رحمه الله والسب فيه
- ٩٠ ظهور أهل زاوية الدلاء وأوليتهم بجبال نادلا وما يقع ذلك
- ٩٦ ذكر ما وقع بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وبين أهل
- زاوية الدلاء من المراسلات والمعاتبات
 ٩٨
- ذكر ما دار بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وبين الأمير
 المولى محمد بن الشريف رحمهما الله تعالى
 ١٠٣
- ١٠٧ وفاة السلطان محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله
- الحبر عن دولة السلطان أبي العباس أحمد بن محمد الشيخ
 ١٠٧ ابن زيدان رحمه الله

الحبر عن دولة أئبانات بمراكش وأعمالها وما آل إليه امرها
من دنورها واضمحلالها

١٠٨

١٠٩

وفاة الشيخ عبد الله بن حصون دفين سلا رحمه الله

١١٠

وفاة الشيخ أبي الحسن الفاسي رحمه الله

١١١

وفاة الشيخ أبي زيد الفاسي المعروف بالعارف رحمه الله

١١٢

وفاة الشيخ عبد الواحد بن عاشر رحمه الله

١١٣

وفاة الشيخ أبي عبد الله محمد العربي الفاسي رحمه الله

فهرس الاعلام والقبائل

حرف (ا)

- | | |
|-----------------------------------|----------------------------------|
| آدم ٤٤ | - انيطار - ١٦ |
| آمنار ٥٨ | أبو حسن السلالى ١٠ - ٤٩ - |
| آل زيدان ١٠٨ | ٧٩ - ٧٨ |
| ابراهيم بن بغزى ٤٣ | أبو الربيع سليمان بن محمد الشريف |
| ابراهيم كاتون ٦٩ - ٧٠ | الزهرى ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - |
| أبو اسحق ابراهيم العقل ٢٠ | ٥٨ |
| أبو اسحق ابراهيم الكلالى ٧٤ | أبو زكرياء يحيى بن عبد المصمم |
| أبو بكر ٣ | الحاخي ٢٩ - ٣٢ - ٣٩ - ٦٠ |
| أبو بكر ابن عبد الكريم ١٠٩ | ٦١ - ٦٦ - ٧١ - ٧٨ - ٧٩ |
| أبو بكر بن محمد - حمى - ٩٦ | أبو زيد المكنانى ٣٤ |
| أبو الحسن على بن خرزهم ٥٦ | أبو زيد عبد الرحمن القناسى |
| أبو الحسن على بن الطيب ٨٢ | - رحو - ٨٦ - ٨٧ |
| أبو الحسن على بن عبد الله | أبو زيد عبد الرحمن الفاسى ١٤ |
| السجلناسى ٢٦ | ٥٨ - ١١١ |
| أبو الحسن على بن عمران السلاسى | أبو سالم العاتى ٩٢ |
| ٣ - ١٤ | أبو سلهم ٩٥ |
| أبو الحسن على بن محمد الادريسى | أبو العباس احمد بن ادريس |
| - ابن ريسون - ٥٧ | المراسى ٢١ |
| أبو الحسن على بن محمد السملانى ٦٠ | أبو العباس احمد بن زيدان ١٠٧ - |
| أبو الحسن على بن يوسف الاندلسى | ١٠٨ |
| | أبو العباس احمد بن محمد الفرديس |
| | التغلى ٢٣ |

٧٦ - ٧٥ - ٧٤ - ٧٣ - ٥٢	أبو العباس أحمد بن منصور الملقب ٤
٨٩ - ٨٨ - ٨٧ - ٨٦ - ٨٥	أبو العباس أحمد بن يوسف
٩٥ - ٩٤ - ٩٣ - ٩٢ - ٩٠	القاسي ٢٢ - ٩٦
٩٩ - ٩٧	أبو العباس أحمد التواني ٢٨
أبو عبد الله محمد بن أحمد	أبو العباس أحمد الحسيني - ادفال - ٣٥
المناوي ٩٦	أبو العباس أحمد الدفوعي ٩٣
أبو عبد الله محمد المكلاني ٨٩	أبو العباس أحمد السعلاقي ٧٨
أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة	أبو العباس أحمد المقرئ ٢٢
القاسي ٨٥ - ٩٣ - ٩٦	أبو العباس أحمد المريدي ٣٤
أبو عبد الله محمد بن قاسم	أبو العباس أحمد النقيس ٢٢ - ٥٨
القصار ٣ - ٤ - ٦ - ٧ - ١٤	أبو العباس الأعرج ١٠
أبو عبد الله محمد بن مبارك	أبو العباس بن أبي محلق ٣٠
الزعرى ٢٧	أبو العباس الخضر غيلان الجرفضي ٩٤
أبو عبد الله محمد بن ناصر	أبو العباس السبتي ٥ - ٣٣
الدرعي ٩٤	أبو العباس السوداني ٢٨
أبو عبد الله محمد بن رحيمي	أبو العباس الصوملي ٧١
أجنا ١٠٥ - ١٠٧	أبو العباس المنجور ٢٨ - ٣٥
أبو عبد الله محمد الحاج الدلاني	أبو عبد الله بن حكيم ١١١
٩٩ - ٩٧	أبو عبد الله بن سودة القاسي ١٠٥
أبو عبد الله محمد الجنان ٢٢	أبو عبد الله الرخراحي ٧٢
أبو عبد الله محمد الشرقي ٩٦	أبو عبد الله محمد بن أبي بكر
أبو عبد الله محمد الشيخ بن	الدلاسي ٨٣ - ٩٠ - ٩٣ -
زيدان ٨٣	٩٤ - ٩٦ - ٩٨ - ١٠٠
أبو عبد الله محمد العربي	أبو عبد الله محمد بن أحمد المالكي
القاسي ٧٤ - ٧٦ - ٩٣ -	الماشي ٢٤ - ٢٥ - ٥٠ - ٥١
١١٢ - ١١٠	

- أبو عبد الله محمد النمطي
 - المربوع - ٥٣ - ٥٤ - ٥٦ - ٥٨
 أبو عبد الله محمد المزوار
 المراكشي ٩٨ - ١٠٠ - ١٠٧
 أبو عبد الله محمد الكلبي ١٥
 أبو عثمان سعيد الجزائري
 قدورة - ٣٥
 أبو علي الحسن الزباني ٢٢
 أبو عمرو القسبي ٣٣ - ٤١ - ٩٦ - ٩٩
 أبو فارس بن منصور ٤ - ٥ - ٦
 ٧ - ١٣ - ١٦ - ١٧
 أبو القاسم بن إبراهيم ٩٩
 أبو القاسم بن أبي النعم ٣ - ٤ - ٦ - ٢٠ - ٥٨
 أبو الليف ٢٣
 أبو الحسن يوسف بن محمد
 الفاسي ١٤ - ١١٠ - ١١١
 أبو محلي أحمد بن عبد الله - ٢٣ - ٢٦ - ٢٨ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٧ - ٤٩ - ٦٢ - ٦٤ - ٦٥
 أبو محمد عبد القادر بن أحمد بن
 قاسم الفستالي ١٧
- أبو محمد عبد الله بن أحمد الخالدي
 - ابن حنون ١٠٩
 أبو محمد عبد الله العياشي ٨٦ - ٩٥
 أبو محمد عبد الله الهبطي ٣٨ - ١١٠
 أبو محمد عبد الواحد بن عثمان
 ٧٤ - ٧٦ - ٩٣ - ٩٦ - ١١١
 أبو محمد العربي انقاسي ٢٣
 أبو محمد الغرواني ١١٠
 أبو مروان عبد الملك بن
 زيدان ٥٠ - ٥٩ - ٧٢ - ٧٧ - ٨٢
 أبو المعالي زيدان بن أحمد منصور
 السعدي ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢٤ - ٢٥ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٤ - ٣٦ - ٣٩ - ٥١ - ٥٢ - ٧٠ - ٧١ - ٧٣ - ٨٧ - ٧٨ - ٧٩
 أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمن
 السكتاني ٦١ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٨ - ١٠٧
 أبو الوفاء اسماعيل الدكالي ٩٣
 أبو يزيد الوليد بن زيدان ٧٢ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٩٨ - ١٠٠
 أبو يعزى ٢٧ - ٧١

أحمد بن موسى الجزولي ٤١-٨٠

أحمد الشريف ٤٧

أحمد المنصور السعدي ٣-٤-

٥-٧-١١-٢٧-٧٠-

٧١-١٠٣-١٠٤

الإدارة ٢٦

ادريس ١٩

ادريس بن أحمد الجوطسي

المراني ٣٤

الاروام ٤٦

إسماعيل بن الشريف ٦٩-٨٢

الاصمبول ١٨-٣٠-٥٠-٧٠-

الافيشي ٢٣

الانجليز ٤٩

الندس سلا ٧٣

أهل آزموذ ٤٣-٤٦-٨٦

أهل الإندس ١١-٥١-٥٨-

٥٩-٦٠-٧٥-٧٦-٩٠-٩٢

أهل بدر ٦٦-٩٤

أهل بلاد الهند ٥٧

أهل أروندانت ٦٦

أهل تسمان ٣٠-٥٢

أهل الجزائر ٧٥

أهل الحرة ٣٩

أهل الخلق ٧٥

أهل درعة ٦٦

ابن أبي الجواد ٦٤

ابن أبي محلي ٢٩

ابن الأشعث ٣٩-٥٧

ابن حسون ١١٠

ابن حسين ٤١

ابن الخطيب ١١٠

ابن خلدون ٩٦

ابن شقراء ٤١

ابن الرومي ٤٤

ابن الزين ٨٩

ابن عبد الواسع ٤٩

ابن عبود ٧٦-٧٧

ابن عربي الحانسي ٤٤

ابن عسكر ١٠٣

ابن عمية ٧١

ابن القاضي المنكاسي ١٠٣

ابن المجراف ٢٢

ابن المنذر ٤٤

ابن اليسع ٢٦

ابن يعقوب أوزال ٤٢

ابن يعلى ٥٨

الابسي ٤٢

الانراك ٤٥

أحمد الأشعث ٥٨-٦٠

أحمد بن زيدان ٧٢-٧٣-٧٥

أحمد بن عمرة ٥٦-٨٩

أولاد سحير ٧٤	أهل الدلاء ٩٨ - ٩٧ - ٩٠
أولاد زبدان ٧٨	أهل زاوية الدلاء ٩٦ - ٨٤ -
أولاد القاضي ٢٦	١٠٢ - ١٠٠
حرف (ب)	أهل سلا ٧٤ - ٥٢ - ٥١ - ٥٠
باب أبي فارس ٤٩	أهل سلايس ١٠٩
أهل جؤذر ٧٢ - ٥ - ٤	أهل المتابعة ٥٧
أهل محمود ٧٣	أهل الحدود ٥٨ - ١٨
بربرة عجل ٩٦	أهل حدود الأندلس ٥٨
بربرة ملونه ٩٨	أهل حدود المصطفى ٥٩
أهل ٣٤ - ٤٩ - ٧٣ - ٧٦	أهل الحدودتين ٥٨
٧٨ - ٩٢ - ٩٧ - ٩٩	أهل الغرب ١٠٥
أهل ٢٣ - ٥٠ - ٨٨	أهل غرناطة ١١
بنو جرار ٣٢	أهل فارس ١٢ - ٨ - ٦ - ٤
بنو حسن ٥٦	١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٥٣ -
بنو سعد بن بكر ١٠٣ - ١٠٠	٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٩ - ٧٥
بنو العباس ٢٦	٨٥
بنو كنسوس ٣٢	أهل الفحص ٢٥
بنو مالك ٧٦	أهل مراکش ٧ - ٦ - ٥ - ٤
بنو موسى ١٠٠	٩ - ١٠ - ٤٩ - ٦٥ - ١٠٩
حرف (ت)	أهل المغرب ٤١ - ١١ - ٦ -
أهل ٧٦ - ٩٢	٩٧ - ٧٦
أهل ٧٦ - ٩٢	أولاد ابن عزيز ٩٢ - ٢٤
أهل ١١٠	أولاد ابن السبع ٢٦
أهل ٤٦ - ٤٧ - ٧٠	أولاد أبي عزيز ٨٧
	أولاد أبي الليف ٥٤
	أولاد ذويب ٨٧

الخيزران ٥ - ٦ - ٢٢

حرف (د)

الديريون ٢٢

الدحبي ٧٦

دكاية ٥١

الدونة السعدية ١٠٤ - ١٠٨

دوة الثبات ١٠٩

الدولة النريقة ٤٥

حرف (ر)

الرشيد بن الشريف السجلعاسي ٥٩

١٠٩

رصوان الجوى ٥٨

روضة أبي الشتاء ٩٢

حرف (ز)

الزدموني ٤١

الزمردي ٥١

الزمنخري ٧١

زيمان بن أبي محلي ٣١

حرف (س)

سالم السهوي ٢٨

سانطو ٩٢

سخون ٤٣ - ٥٤

حرف (ج)

جؤذر ٧٨

الجردلي ١١٠

جلال الدين السيوطي ٦٠

جلول بن الحاج ٥٩

الجومر ٥

حرف (ح)

الحاج احمد بن عاشر ٩٥

الحاج علي سوسان ٥٨

الحاج المبر ٣٠

الحجاج ٣٩ - ٦٢

الحسن البصري ٣٩

الحسن بن علي ٦٦

حمو بن عمر ١٧ - ٥٦

أبو دبرة حمو ٢١

الحناشة ٤٣

الحنيفة ٤٢

الحياة ٧٤ - ٨٥

حرف (خ)

الخروبي ٣٣

الخضر ٤٤

الخط ٧٦

خوان ٨٨

عبد السلام بن منبش ٥٧
 عبد الصادق ٣٧ - ٤٨
 عبد الصادق بن ملوك ٤١
 عبد الصمد ١٨
 عبد العزيز بن سعيد الوزكي ١٧ - ٧٢
 عبد العزيز بن محمد النعالي ٧٠ - ٧٢
 عبد العزيز القسبي ٤١
 عبد القادر ٤٩
 عبد الكريم بن أبي بكر الشامي -
 كروم الحاج ١٠٨ - ١٠٩
 عبد الكريم بن الشيخ ٤١
 عبد الكريم بن مومن العلي ٤١
 عبد الله اعراض ٨
 عبد الله بن الشيخ ٨ - ٩ - ١٠
 ١٢ - ١٣ - ١٦ - ١٨ - ١٩
 ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٦ - ٥٨ - ٥٩
 عبد الله بن طاهر ١٠٣ - ١٠٤
 عبد الله بن المنصور - الزيدة - ٣٠
 عبد الله السعدي ٤١ - ٤٤ -
 ٤٨ - ٧٠
 عبد الله بن محمد المساوي ١٠٢
 عبد الملك بن مروان ٣٩
 عبد الملك الغازي السعدي ٤٠ - ٧٠
 عبد مناف ٦٨

سعد بن أبي وقاص ٨٧
 سعيد بن جبير ٣٩
 سعيد الدكالي ٦٩
 سكتانة ٦٦
 سفيان ٣٨ - ٥٠
 السوسي ٥١

حرف (س)

الشاذلي ٥٨
 الشافعي ٤٢
 الشاوي ٦٩
 الشاة ٣٢
 الشبان ٦ - ١٠٧ - ١٠٨ -
 ١٠٩
 شرافة ١٨ - ٥٢ - ٥٥ - ٨٥
 الشيخ بن زيدان ٨٢ - ٨٣
 الشيخ كدار ١٩

حرف (ص)

الصادق ٣٩

حرف (ع)

العباس بن عبد المطلب ٢٦
 عبد الخالق ٩٩
 عبد الرحمن الحناني ٥٦

حرف (ف)

- الفتاة ١٠٣
الفضل بن عباس ٣٨ - ٥٠
الفرج ٥٠
فليس الثالث ٥٠

حرف (ق)

- القبائل السوية ٧٨
القبطان مراد ٤٦
القراشي ٩٩

حرف (ك)

- الكروني ٢١
الكداودة ٩٢
الكشم ٤٤

حرف (ل)

- اللمطون ٥٥ - ٥٦ - ٥٨
٥٩ - ٦٠
لوز البرتالي ٣١ - ٦٩
لوز مارية ٨٨

حرف (م)

- مالك ٣٨ - ٥٠
المأمون بن المنصور الشيخ ٥ - ٦

عبد المؤمن بن ساسي ٤٨

عبد المؤمن بن علي ٤٥

عبد وبنها ٧٣

العبيدون ٢٦

عثمان ٣٩

عثمان داي ١٢

العثماني ٧٠

العجم ٤٦

عجيب ٥٢ - ٧٣

العرب ١٨ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٦

٤٧ - ٧٣ - ٧٦

عرب افريقية ٤٣

عرب احبابة ٢٠ - ٧٤

عرب أسوس ٢٧

عرب الغرب ٧٤

عرب معقل ١٠٨

العلاء بن الحضرمي ٨٧

العلوج ٧٧ ٨٣

العلويون ٢٦

علي ٣٩

علي بن سعيد ٦٠

علي بن عبد الرحمن ٥٨

عمر ٦٦

عيسى بن عبد الرحمن ٨١

معمود بن عبد الله ٥٨	١٢-١٧-١٨-١٩-٢٠
معمود الشراط ٥٩	٢٢-٤١-٤٨-٥٤-٦٦
مقبولة ١٧	نامي الملح ٥٨
مصطفى يانا ٩-١٣-١٦-	الاوردي ٤٦
١٧-١٨	مبارك السوسي ١٠٠-١٠١
مصطفى صولجي ٤٧	محمد يانا الملح ٧٨
معاوية ٤٠-٦١	محمد بن ابي بكر الدلائي ٢٨
المقدم ابو ايليف ٢٢	محمد بن ابي عمرو ٤٨
المقدم القسيس ٢٣	محمد بن ابراهيم الشيطلي ٤١
الملافة ٣٤	محمد بن الحسن بن ابي القاسم ٣٨
النصر ٩٩	محمد بن سليمان المنطلي
منصور العكاري ٤٩	- الافرع - ٥٨
منويل ٢٣-٧٧-٨٢-٨٤	محمد بن الشريف اسجلفني ٨٨
١٠٩	١٠١-١٠٣-١٠٥-١٠٨
نواف ٤٢	محمد بن الشيخ - زغودة - ٥٧
	٧٢
حرف (ن)	محمد بن عبد المؤمن بن محمد
الناصر بن التبر ٧٤	الشيخ ١٠
النجار ٩٤	محمد السوسي ٢٥
النصاري ١١-٢١-٢٧-	محمد الشرق ٤١
٤٥-٥٠-٥١-٦٩-٧٤	محمد الشيخ بن زيدان السعدي ٧٢
٧٥-٧٦-٨٧-٩٠-	٩٧-٩٨-١٠٢-١٠٣-
٩٢-	١٠٤-١٠٧-١٠٨
نصاري الجديدة ٢٤-٢٥-٧٠	محمد الشريف ٧٩
حرف (هـ)	محمد الفزاري ٩٢
الهبلي ٤١	المرايط الاندلسي ٤١

عشوة ٣٢

حرف (و)

الوحاسيون ٥٠

ولد أصناك ٤١

حرف (هـ)

يحيى اجائبا الوزكيتي ٧٢ -

٧٨ - ١٠٧

يحيى بن عبد الله بن بن سعيد

الحناحي ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ -

٣٦ -

سوزوز ٥٨

يحيى بن طايه ٣٩ - ٤٠ -

اليخزني ٣٣ - ٣٤ - ٥٩ - ٦٠ -

٧٠ - ٧١ - ٧٦ - ٩٥ -

٩٦ - ٩٨ - ١٠٨ -

البوسي ٢٨ - ٣١ - ٩٧ - ١١٠ -

بوسن الابسي ٣٠

بوسن البوسي ٤٢ - ٤٣ -

البسود ٨١

فهرس الاماكن

حرف (ا)

أرمود ٢٤ - ٢٥ - ٣٧ - ٥٠
 - ٥١ - ٦٩ - ٨٦ - ٨٧
 أسفى ٣٧ - ٨٢
 أرض المغرب ٥١
 ادخسان ١٨ - ١٩
 الاسكندرية ٩٣
 امريقية ١٢ - ٤١
 اكليم ٧

ام الربيع ١٩ - ١٠٢

ام كرس ٦٩

الاندلس ١١ - ٥١ - ٦١

ابلق ٧٩ - ٨١ - ١٠٢

حرف (ب)

باب الجنة ٥٣

باب الحمير ٨٤

باب السبع ٥٦

باب السلسلة ١٨

باب الفروع ١٦ - ٥٤

باب المسافرين ٥٣

باب المعلقة ٧٥

البرج الجديد ٥٦

بر العدو ٣١

بلاد النصارى ١١

بلاد اختلف ٩٣

بلاد دكالة ٦٩ - ٧٠ -

٩٣ - ٩٣ -

بلاد العرب ٢٠

بلاد العرب ١٢ - ٧٢ - ٩٤ -

٩٨ - ٩٥

بلاد فارس ٨٧

بلاد النجف ٢٢

بلاد المغرب ١١ - ٨٤

بلاد الهند ٥٢

بور كرك ١٣

البيضا ١٠٢

حرف (ت)

تارودانت ٦١ - ٦٤ - ٦٨

تاقا ٧٣ - ٨٤ - ٩٩

تدلا ٤ - ٧١

تافنت ٩

تاسا ١٩ - ٧٣ - ٨٤ - ٨٦

حرف (ح)

حجر بادييس ٢٠
الحرم الشريف ٣٩
حلق العمورة ٧٤ - ٧٦
الحراء ١٠٢
حوالة ٥
الغيابة ٨٦

حرف (خ)

الخندق ٧٥
حولان ٥٤

حرف (د)

دار ابن مشعل ١٦
دار القبطون ٥٤
دجلة ٨٧
دعنة ٨ - ٣٥ - ٥١

حرف (ر)

رأس الماء ١٩
رأس العين ٤٩
الرائدية ٣٠
الريباط ٨٤
دواسة أبي الشتاء ٩٢

مناوين ١٢ - ١٩ - ٢٢ - ٢٣
الميناء ٦ - ٨ - ١١ - ٣٧
٥٢ - ٥٣ - ١٠٣
تونس ١١ - ١٢ - ٤١
بط ٨٢

حرف (ث)

تغر أغني ٣١

حرف (ج)

جامع اقروين ١٤ - ٥٤ - ٥٥
٦٠ - ٧٨
جبال التريب ٥٦
الجيل الأخضر ٦٩
جبل الحديد ٨٤
جبل جابر ١٠
جبل دون ٣٢ - ٣٥
الجزائر ٨ - ١٢ - ٩٠
جزيرة الاندلس ١٢
جزيرة العرب ٧٠
جزيرة فلدس ٥٠
الجديدة ٣١ - ٦٩ - ٨٧ - ٨٨
جنان بكار ٨

حرف (ش)

الثام ١٢

النباظة ٨٤

حرف (ص)

سهاجة ٩٦

حرف (ط)

طجة ٢٣ - ٧٥ - ٨٩

حرف (ع)

المراش ١٣ - ١٨ - ١٩ -

٢٠ - ٢١ - ٣٠ - ٥٠ - ٥٤ -

٨٧ - ٨٩ -

العراق ٣٩

عين السبع ٧٥

عين القصب ٩٢

حرف (غ)

الفرب ٣ - ٨ - ١٩ - ٢٧ -

٤٣ - ٤٨ - ٩٤ - ٩٩ -

١٠١ - ١٠٢ -

عراطة ١١

حرف (ز)

زاوية الدلاء ٩٠

زاوية القاضى ٢٦

الزرباطنة ٥٨

زهرهون ٥٦

زداعة ٣٥

حرف (س)

ساحل البحر الجديد ٨٢

ساحل ارسل ٧٥

سجلانة ٨ - ٢٦ - ٢٧ - ٣٠ -

٤٧ - ١٠٠ - ١٠٢ -

سلا ١٢٩ - ٢٤ - ٢٥ - ٥٠ -

٥١ - ٥٣ - ٧٥ - ٧٦ - ٨٤ -

٨٥ - ٨٦ - ٨٨ - ٩٢ - ٩٥ -

١٠٩ - ١١٠ - ١١٢ -

سلاس ١٠٩ - ١١٠ -

السودان ٥ - ١١ -

السوس ٨ - ١٣ - ١٧ - ٣٥ -

٤٧ - ٤٨ - ٦٠ - ٧٩ -

١١٠

سوق العطارين ١٠٠

سويقة ابن صافى ٨٩

حرف (ك)

كشوه

كربكره ٢٧

حرف (ل)

لطة ٥٥

حرف (م)

الماني ٨٧

المدرسة اعنابة ٥٨

المدينة اشرفه ٩٢

مراكش ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٩ -

١٠ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٦ -

١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٥ - ٣٠ -

٣١ - ٣٢ - ٣٤ - ٣٧ - ٤٧ -

٤٨ - ٦٠ - ٦١ - ٦٥ - ٦٩ -

٧٠ - ٧٢ - ٧٧ - ٧٨ - ٨٣ -

٨٤ - ٨٧ - ٨٨ - ٩٦ - ١٠٢ -

١٠٣ - ١٠٧ - ١٠٨ -

١٠٩ - ١١٢ -

مرسى الحلق ٥٥

مسجد اخرف ٥٥

مرسى الرماء ٧ - ١٣ -

انسرة ٨٢

منقوة ٧ - ١٣ -

حرف (ف)

فاس ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ -

١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣ -

١٤ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ -

٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٦ -

٢٧ - ٣٤ - ٣٥ - ٥٥ - ٥٧ -

٥٨ - ٥٩ - ٧٠ - ٧٢ - ٧٨ -

٨٤ - ٨٥ - ٨٩ - ٩٧ - ١٠٣ -

١٠٩ - ١١٠ - ١١١ -

فاس الجديد ١٤ - ٥٤ - ٥٦ -

٥٨ - ٧٣ -

الفحص ٢٢ - ٢٥ -

فم تون ٣٢ -

حرف (ق)

قبور الاشرف ١٠٧

قصة مراكش ١٠٧

القسطونية ١٢ - ٧٠ -

قنالة ١١ -

القصر الكبير ١٣ - ٢٠ -

القرويين ٥٦ -

قلعة سلا ١٢ -

قنطرة المهدومة ١٨ -

حرف (و)	منبرع أبي الاعوان ٨٧
	المشرق ٦ ٤
	مصر ١٢
وادي ام الربيع ٥ - ١٩ - ٨٧	المعمورة ٥٠ - ٥١ - ٧٤
وادي بوزكرات ١٢	المغرب ٤ - ١١ - ٢٦ - ٤٠
وادي بهت ٥٧	٤٣ - ٤٥ - ٤٧ - ٦٠ - ٦١
وادي السائرة ٢٨ - ٣٠	٦٥ - ٧٠ - ٧٨ - ٨١ - ٩٢
وادي الطين ٥٧ - ٩٤	٩٧ - ٩٩ - ١١٢
وادي فاس ١٨	المغرب الأقصى ١٢ - ٢٧
وادي المرائش ٧٧	مكة ٩٢
وادي العيد ٩٨ - ٩٩ - ١٠٢	مكة ٣ - ٤٧ - ٥٨ - ٩٧
وادي المخازن ٢٧	ملوية ١٠١
وحدة ١٠٠	المهديّة ٥٠
الوليدية ٨٢	
وهران ١١	

